الفصل الأوَّل

الحـذف

وفيه توطئة وأربعة مباحث :

- المبحث الأوَّل : حذف الحركات .
- المبحث الثاني : حذف الحروف .
- المبحث الثالث : حذف الأسماء .
- المبحث الرابع : حذف الأفعال .

وذُيِّل بخلاصةٍ لأهمِّ نتائج البحث فيه .

توطئة

حقيقة الحذف :

من المهمِّ قبل الخوض في بيان أحكام الحذف ومسائله أن أبدأ ببيان حقيقته ؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره .

وقد رجعت إلى مظانِّ الحذف في قدر لا بأس به من كتب أصول النحو وفروعه ، فلم أجد في ما رجعت إليه بيانًا لحقيقة الحذف أو تعريفًا له ، فرجعت إلى معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض فوجدت هذا التعريف :

الحذف : يُراد به في النحو إسقاط كلمة من بناء الجملة ، وقد تكون هذه الكلمة ركنًا من أركانها كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل أو الفاعل ، وقد تكون حرفًا ، وقد تُحذف الجملة ... " [1] ، وهذا لا يعدو كونه تعدادًا لأنواع من الحذف ، ولا يصحُّ أن يكون حدًّا مبيِّنًا للحذف النحويِّ ، فهو أشبه بتعريف للحذف الصرفيِّ ؛ إذ يصدق أن نقول : الحذف في الصرف : إسقاط حرف من بناء الكلمة .

واطَّلعت على رسالة علميَّة من البحوث الرائدة في الموضوع - وهي رسالة (الحذف والتقدير في النحو العربي) - فوجدت تعريف الحذف فيها على النحو التالي :

> إسقاط لصيغ داخل النصِّ التركيبيِّ في بعض المواقف اللغويَّة ، وهذه الصيغ يُفترَض وجودها نحويًّا لسلامة التركيب وتطبيقًا للقواعد ، ثمَّ هي موجودة – أو يمكن أن توجد – في مواقف لغويَّة مختلفة [2] .

وهو اجتهاد مشكور من الباحث ، ولكنَّ أبرز ما يمكن أن يؤخذ على التعريف قوله: (وهذه الصيغ يُفترَض وجودها نحويًّا لسلامة التركيب وتطبيقًا للقواعد) ؛ لأنَّ هذا لا يصدق على أيٍّ من نوعي الحذف :

- ففي الحذف الواجب لا يُفترض وجود المحذوف لسلامة التركيب وانضباط القواعد، بل يكون ذكره خطأً مخلا بسلامة التركيب وخارقًا للقواعد .

---

(1) معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض /85 .

(2) الحذف والتقدير في النحو العربي /196 ، رسالة ماجستير أعدَّها علي أبو المكارم بكليَّة دار العلوم بالقاهرة، والرسالة سابقة على معجم المصطلحات بما ينيف على عشرين سنة ولكن أخرت ذكرها لما يلحق التعريف الوارد فيها من تعليق .

- وفي الحذف الجائز لم يدلّ على المحذوف أنَّ غيابه أخلَّ بسلامة التركيب أو كسر القواعد - فبدهيٌّ أنَّ المحذوف جوازًا يجوز حذفه وذكره من غير أن يوصف التركيب بالغلط النحويّ - وإنّما دلّ عليه أنّه ذُكر في استعمال آخر ولغرض آخر ؛ فاللغة استعمال قبل أن تكون قواعد .

وإذا كان لي أن أُدلي بدلوي لأقدِّم تعريفًا نحويًّا للحذف فقد راجعت أحوال الحذف وأحكامه وخرجت منها بهذا التعريف :

الحذف الجائز : تعمُّد إسقاط عنصر (إسناديٍّ أو غيره) من عناصر بناء النصِّ ؛ لغرض ، مع سماح النظام النحويّ بذكره ، ومع دلالة باقي عناصر النصِّ عليه ، وإمكان ذكر هذا العنصر في مقام آخر ولغرض آخر .

الحذف الواجب : إسقاط عنصرٍ إسناديٍّ من نصٍّ لا يسمح النظام النحويُّ بذكره فيه، مع دلالة الأصل التركيبيِّ للنصِّ عليه ، وامتناع ذكره في كلِّ الأحوال .

قيمة الحذف ومزاياه :

يرتبط الحذف ارتباطًا وثيقًا بمعنى القول ودلالته وقدرته على التأثير ؛ فهو وسيلة للإيجاز الَّذي هو أحد مقاصد العربيَّة ، والحذف في مقامه يهذِّب الجمل ، ويزيد نصيبها من البلاغة والرونق ، ويقوِّي قدرتها على إيصال المعنى المراد .

تحت عنوان (القول في الحذف) يقول الإمام عبد القاهر : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنَّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ " [1] .

ويذكر علماء البلاغة للحذف ثلاث مزايا ، هي [2] :

1- إيجاز العبارة .
2- زيادة رونقها وصيانتها من الثقل والترهُّل الَّذين يحدثهما ذكرُ المعلوم للقرينة .
3- بناؤها على إثارة فكر المتلقِّي وخياله في الاستدلال على جزء المعنى الَّذي لم يُذكر اللفظ الدالُّ عليه .

---

(1) دلائل الإعجاز /46 .
(2) انظر : خصائص التراكيب /161 ، 272 .

هذا ما يُذكر مَزِيَّةً عامَّةً للحذف ، ويبقى وراء كلِّ تعبير سرٌّ خاصٌّ به قائم على اختلاف المقامات والأحوال والأغراض .

أغراض الحذف وأدلته :

إذا نظرنا في كتاب سيبويه وجدناه ينصُّ في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب أدخلها البحث الحديث في فنِّ البلاغة ، كالتخفيف والإيجاز والسعة ، ويبيِّن أنَّ العرب قد جرت عادتها على الحذف ، وحبَّذته في غير موضع [1] .

يقول سيبويه : " واعلم أنَّهم ممَّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون ، ويستغنون بالشيء عن الشيء الَّذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتى يصير ساقطًا ... "[2]، ويقول: "وما حُذِف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير"[3].

ويقول كمال الدين الأنباري : " والحذف في كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يُحصَى " [4] .

وقد تطرَّق النحاة في مصنفاتهم إلى ذكر أغراض الحذف ، لكنَّها أغراض خاصَّة بالمحذوف ، ولذلك فهي متفرِّقة في أبواب النحو بحسب المحذوفات .

شروط الحذف :

يذكر علماء البلاغة أنَّ " الحذف يفتقر إلى أمرين :
أحدهما : قابليَّة المقام ، وهو أن يكون السامع عارفًا به لوجود القرائن .
والثاني : الداعي الموجب لرجحان الحذف على الذكر " [5].

وقد اهتمَّ النحاة وعلماء البلاغة بدراسة دواعي الحذف واستنباط القرائن الدالَّة على المحذوف ، وقد أجمل ابن هشام الشروط الَّتي لا يجوز الحذف بغيرها فذكر ثمانية شروط [6] :

---

(1) انظر : أثر النحاة في البحث البلاغي /70 .
(2) الكتاب : 1/ 24 ، 25 .
(3) الكتاب : 130/2 .
(4) الإنصاف 73/1 .
(5) المطوّل /211 .
(6) انظر : مغني اللبيب /786 وما بعدها .

الشرط الأول : وجود دليل للحذف ، ويُفتقَرُ إلى هذا الدليل إذا كان المحذوف :

- جملة بأسرها ، كقولك : زيدًا ، لمن سأل : مَن أضرب ؟
- أو أحد ركنيها ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [1] ، أي سلامٌ عليكم أنتم قومٌ منكرون ، فحذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية .
- أو لفظًا يفيد معنىً فيها هي مبنيّة عليه ، كما في قوله تعالى:﴿ تَاللهِ تَفْتَأُ ﴾[2]، أي : لا تفتأ .

أمّا إذا كان المحذوف فضلة فلا يشترط لحذفه وجدان الدليل ، ولكن يُشترط أن لا يضرّ حذفه بالمعنى ولا بالصناعة النحويّة .

ويتنوّع دليل الحذف إلى نوعين :

1- دليل غير صناعيّ : وهو إما حاليّ ، كقولك لمن رفع سوطًا : زيدًا ، بإضمار (اضرب) ، أو مقاليّ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [3] ، أي : أنزلَ خيرًا .

ويُشترط للدليل اللفظيّ أن يكون طبق المحذوف .

2- دليل صناعيّ: وهذا لا يُعرف إلا من جهة صناعة النحو،كما في قراءة من قرأ[4]: ﴿ لأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [5] ، فقد قالوا : إنّ التقدير : لأنا أقسم ؛ لأنّ فعل الحال لا يقع جوابًا للقسم عند البصريّين .

الشرط الثاني : ألاّ يكون ما يحذف كالجزء ، فلا يُحذف الفاعل ولا نائبه ولا مشبهه (اسم كان أو إحدى أخواتها) .

الشرط الثالث : ألاّ يكون مؤكّدًا ، فلا يصحّ : الّذي رأيت نفسه زيد ؛ لما يُوقع فيه ذلك من التناقض ، فالتوكيد إسهاب والحذف إيجاز ، ولا يجتمعان [6] .

الشرط الرابع : ألاّ يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر ، فلا يحذف اسم الفعل دون معموله ؛ لأنّه اختصار للفعل .

---

(1) سورة الذاريات ، الآية 25 . (2) سورة يوسف ، الآية 75 . (3) سورة النحل ، الآية 30 .
(4) قنبل والبزّي بخلاف عنه ، الدر المصون 563/10 ، وتروى عن الحسن ، المحتسب 341/2 .
(5) سورة القيامة ، الآية 1 . (6) انظر : الخصائص 280/2 .

الشرط الخامس : ألاَّ يكون المحذوف عاملاً ضعيفًا ، فلا يحذف الجارُّ والجازم والناصب للفعل إلا في مواضع قويت فيها الدلالة على المحذوف وكثر فيها الاستعمال ، ولا يُقاس عليها .

الشرط السادس : ألاَّ يكون المحذوف عوضًا عن شيء .

الشرط السابع : ألاَّ يؤدِّي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه .

الشرط الأخير : ألاَّ يؤدِّي الحذف إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ .

ويُعتبر دستورًا للدراسة النحويَّة للحذف قول ابن هشام : " الحذف الَّذي يلزم النحويُّ النظرُ فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرًا بدون مبتدأ أو بالعكس، أو شرطًا بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفًا بدون معطوف عليه ، أو معمولاً بدون عامل ..."[1].

صور الحذف وأنواعه :

تتعدَّد صور الحذف في النحو العربيِّ ، من حذف علامات الإعراب ، وحذف أجزاء الكلمات ، وحذف الأدوات ، وحذف أجزاء التراكيب ، وحذف الجمل ، ويتنوَّع الحذف إلى نوعين [2] :

الحذف الواجب : وهو حذف يوجبه النظام النحويُّ للجملة ، بحيث يكون ذكر المحذوف خطأً ، ويقع هذا الحذف في العناصر الإسناديَّة – كالمبتدأ في الجملة الاسميَّة ، والفعل في الجملة الفعليَّة – عدا الفاعل .

الحذف الجائز : وهو حذف يقتضيه الموقف الاستعماليُّ ، حيث يكون الذكر غير ممنوع في الصناعة لكنَّه يضرُّ بالمعنى المقصود من المتكلِّم ، ويقع على العناصر الإسناديَّة وغيرها .

ويُحاط كلُّ نوع من أنواع الحذف الواجب بقواعد وشروط تنظِّم وقوعه ، فلا مجال فيه لغير النظام النحويِّ ، أمَّا الحذف الجائز فإنَّ أهم شرط فيه هو وجود القرينة اللفظيَّة

---

(1) مغني اللبيب /853 . (2) انظر : بناء الجملة العربية /269 وما بعدها .

أو المعنويّة ، وهو ما سمّاه ابن هشام " دليل الحذف " ، وجعل أحد نوعيه الدليل غير الصناعيّ ، أي الّذي لا علاقة له بصناعة النحو ، وإنّما يكون الاحتكام فيه إلى الحال ، أو إلى المنطوق - وهو الكلام الّذي يعتمد على المسرح اللغويّ كما يقول أ.د / أحمد كشك - ففي قول المترقّب لرؤية الهلال : الهلال وربّ الكعبة ، دليل الحذف حاليٌّ ، وتقدير المحذوف مبتدأ (هذا الهلالُ) تختلف علاقات نطقه عن تقديره فعلاً (رأيت الهلالَ) [1] ، وكذلك إذا قلنا لمن أتى بالماء : أباك ، أي : اسق أباك ، فالدليل على المحذوف في هذه الأساليب وأمثالها حاليٌّ ، أي مُستنبَط من قرينة الحال ، مع أنّ الحكم هنا لا يصفو للحال فقط ؛ فقد أعاننا على تقدير المحذوف " الاستلزام وسبق الذكر ، وكلاهما من القرائن اللفظيّة " [2] ، أمّا الدليل المقاليُّ فهو ما يوجد في كلام منطوق في المقام نفسه ، كما أسأل شخصًا : مَن عندك ؟ فيقول : محمّد ، أي : محمّد عندي .

---

(1) انظر : اللغة والكلام /18 .

(2) اللغة العربية معناها ومبناها /221 .

المبحث الأوَّل
حذف الحركات

وفيه قضيَّتان:

- **الأولى**: اطِّراح الفتحة في الأسماء المنقوصة وفي الأفعال المضارعة المعتلة بالواو وبالياء.
- **الثانية**: الوقف على المنصوب المنوَّن بالسكون .

اطراح الفتحة في الأسماء المنقوصة
وفي الأفعال المضارعة المعتلة بالواو وبالياء

الأصل أن يُعرب المعتلُّ بحركات مقدَّرة في حالة الرفع (للأسماء والأفعال) وفي حالة الجرِّ (للأسماء فقط) ؛ لثقل الضمَّة والكسرة ، وتظهر عليه الفتحة في حالة النصب [1] ؛ لأنَّ " الفتحة أخفُّ من الضمَّة والكسرة " [2] .

لكنَّ بعض الأسماء والأفعال المعتلَّة الآخر ترد خاليةً من علامتها الإعرابيَّة في حالة النصب ، وقد وقع ذلك في نصوص كثيرة ، فمن شواهد وقوعه في القراءات القرآنيَّة :

- قراءة الحسن[3] قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَعْفُو الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [4]، بسكون الواو من (يعفو) .
- قراءة جعفر الصادق [5] : ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهَالِيكُمْ ﴾ [6] ، بسكون الياء من (أهاليكم) .

أمّا شواهده في الشعر فهي " أكثر من أن يُؤتَى بها " [7] ، ومنها :

- قول النابغة الذبيانيّ :

ردَّتْ عليهِ أقاصيهِ ولبَّدَه ... ضربُ الوليدةِ بالمسحاةِ في الثأدِ [8]

فالأصل (أقاصيَه) .

- وقول رؤبة بن العجَّاج :

كأنَّ أيديهنَّ بالقاع القرقْ
أيدي جوارٍ يتعاطيْن الورقْ [9]

والأصل : (أيديَهنَّ) .

ومن شواهده في المأثور النثريِّ عن العرب قولهم في المثل : أعطِ القوسَ باريها ، بسكون الياء [10] .

---

(1) انظر : شرح الشافية 182/3 .
(2) الكتاب 167/4 .
(3) الدر المصون 494/2 .
(4) سورة البقرة ، الآية 237 .
(5) الدر المصون 407/4 .
(6) سورة المائدة ، الآية 89 .
(7) المحتسب 343/2 .
(8) ديوانه /10 ، ومعنى البيت أن ضرب الخادمة بالمجرفة في التراب قد جعله يتراكم ويجتمع.
(9) مفردات ديوانه /179 ، والبيتان في وصف إبل مسرعة ، والقاع القرق : المستوي.
(10) المستقصى في أمثال العرب 247/1 .

ويختلف نظرة النحاة إلى هذه الظاهرة على النحو التالي :

- يرى ابن الخاجب أنَّ السكون في النصب شاذٌّ كالتحريك في الرفع والجر[1] ، وقوله هذا لا ينفي الكثرة الاستعماليَّة له .
- ومن النحاة من يسم ذلك بالضرورة ، ويجعل مسوِّغها القياس على السكون في حال الرفع والجر [2] ، وينقض وصفه لها بالضرورة وقوعُها في القراءات وفي المثل .
- وبعضهم وصف هذه الظاهرة بالكثرة في الضرورة وفي السعة [3] ، ويؤيِّد قولَه ما ورد من الشواهد السابق ذكرها .
- ويُروَى عن الفرَّاء [4] ، وعن أبي حاتم السجستانيِّ [5] أنَّها لغة .

ويحقِّق اطِّراح العلامة الإعرابيَّة شيئًا من الخفَّة وسهولة النطق ، وهذه مطلوبةٌ في الشِّعر ، ولأهمِّيَّة العلامة الإعرابيَّة فلا بدَّ حين اطِّراحها من الاعتماد على قرينة ، ومن أهمِّ القرائن " قرينة السياق الَّتي تمنع اللبس ويُؤمَن معها إلغاء الإعراب " [6] ، وبذلك تتحقق الخفَّة المنشودة بلا لبس .

وقد حدثت هذه الظاهرة في شعر الصيرفيِّ إحدى عشرة مرَّة ، ثلاث منها في أسماء معتلَّة بالياء ، وواحدة في فعل معتلٍّ بالواو ، والباقي في أفعال معتلَّة بالياء .

فالأسماء هي :

- (معاني) ، وهو مفعول في قوله :

والشاعز الساهر المصغي لآلهة توحي إليه معاني الخلد يرويها [7]

- و(ليالي) ، وهو ظرف زمان في قوله :

واقرأه ليالي السهد كما يقرأه سواكْ [8]

- و(أغاني) ، وهو منادى مضاف في قوله :

يا أغاني الربيع ، عندكِ وزنٌ للنشيد الَّذي تُنوسيَ وزنُهْ ؟ [9]

---

(1) انظر : شرح الشافية 182/3 ، 183 .

(2) انظر : الكتاب 305/3 ، 306 ، والمقتضب 21/4 ، والكامل 908/2 ، وهمع الهوامع 53/1 .

(3) انظر : شرح الكافية للرضي 20/4 ، 21 . (4) عبث الوليد /147 . (5) همع الهوامع 53/1 .

(6) شعر أبي تمام دراسة نحويَّة /141 . (7) الشروق /73 . (8) النبع /22 .

(9) الألحان الضائعة /20 .

والفعل المعتل بالواو هو :

• (يصحو) ، وهو مضارع منصوب في قوله :

كان يصبو إلى سماعكِ بالأمـس ليصحو من رقدة الموت فنُّهْ [1]

ومن الأفعال المعتلّة بالياء :

• (يُرضي) ، وهو مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل [2] في قوله:

أجلُّ الناس مَن يظما ليُرضي الظامئ الجائع [3]

• و(يرتمي) ، وهو مضارع منصوب بأن في قوله :

أخشى عليه – والهوى مُحْدِقٌ أن يرتمي في عالمٍ مُلتهِبْ [4]

ودلالة هذه الظاهرة في الشعر أن الحركة المطّرحة لو بقيت لتحوّل الصائت إلى صامت ، والصائت مستملح من الشاعر لأنه يريد المد ويقصده ، فهو يطرح الحركة من أجل هذه الغاية الموسيقية.

---

(1) الألحان الضائعة /20 ، ويُلاحظ في البيت المشاكلة بين (يصبو) و(يصحو) ، وهي نكتة أخرى.

(2) هذا على مذهب البصريّين ، أمّا على مذهب الكوفيّين فاللام هي الناصبة بنفسها ، يُراجَع : الإنصاف 575/2 .

(3) الألحان الضائعة / 88 .

(4) الشروق /16 ، وانظر : الشروق /85 ، عودة الوحي /29 ، زاد المسافر /58 ، صدى ونور ودموع /17 ، صلواتي أنا /82 ، 114 ، النبع /82 .

الوقف على المنصوب المنوَّن بالسكون

الحديث عن الوقف في الشعر حديثٌ عن القافية ، والقافية جزء لا ينفصم من إيقاع الشعر الَّذي يصفه أ.د/ أحمد كشك بأنه "مطلب أساسيّ، من الممكن أن يُضحَّى من أجله ببعض القوانين اللغويَّة " [1] ، ففي أحيان كثيرة يكون الترخص اللغويُّ على مستوى الصوت والبنية والتركيب سبيلاً إلى توازنٍ إيقاعيٍ تسعى إليه لغتنا الموسيقيَّة [2].

والوقف بالسكون هو الأصل في الوقف [3] ؛ " لأنَّ الواقف يترك حركة الموقوف عليه فيسكن ، كما أنَّ الواقف في الغالب يطلب الاستراحة ، وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الراحة ، ولأنَّ الوقف ضدُّ الابتداء والحركة ضدُّ السكون فكما اختصَّ الابتداء بالحركة اختصَّ الوقف بالسكون ليتباين بذلك ما بين المتضادَّين " [4] .

ولكنَّ أكثر العرب يخالفون هذا الأصل في المنصوب المنوَّن ، فهم يقفون بالسكون في المرفوع والمجرور ، فيقولون : هذا زيدْ ، مررت بزيدْ ، أمَّا في المنصوب فيبدلون التنوين ألفًا [5]، يقولون: كلَّمتُ زيدا ، وعلَّة هذه التفرقة بين المنصوب وغيره أنَّ الفتحة أخفُّ الحركات ؛ لأنَّها " تخرج مع النفَس بلا علاج " [6] ، فيسهل إبدالها ألفًا ، خلافًا للضمَّة والكسرة ففيهما تكلُّف واستعمال للشفتين ، فإبدالهما مستثقل لذلك [7] .

وتختلف قبيلة ربيعة عن سائر العرب في الوقف على المنصوب المنوَّن ، ففي لهجتهم يقفون عليه بالسكون وحذف التنوين ، كالوقف على المرفوع والمجرور ، فيقولون : هذا زيدْ ، كلَّمتُ زيدْ ، مررتُ بزيدْ ، وعلَّة ذلك :

1- أنَّ لهجة ربيعة تميل إلى التخفيف [8] ، والتزام السكون في أواخر الكلمات أخفُّ من الحركات في آخرها .

2- أنَّهم ساووا بين جميع حالات الإعراب ؛ ليُجرى الباب مُجرىً واحدًا [9] .

وقد قيل : إنَّ هذا " ليس لازمًا في لهجة ربيعة، ففي أشعارهم الوقف كثيرًا جدًّا على المنصوب المنوَّن بالألف " [10] ، فهو إذن أحد الوجهين عندهم .

---

(1) القافية تاج الإيقاع الشعري /102 .
(2) انظر : المرجع السابق .
(3) ابن يعيش 67/9 .
(4) اللهجات العربية في التراث 480/2 ، وقارن بـ : المرجع السابق .
(5) انظر: تسهيل الفوائد /328 .
(6) كتاب اللامات/9.
(7) انظر:همع الهوامع 205/2.
(8) انظر:اللهجات العربيَّة في التراث482/2.
(9) همع الهوامع 205/2 .
(10) المساعد 303/4 .

وكون هذا الوقف بالسكون لهجة لبعض العرب يخرجه من باب الضرورة ، ولو نظرنا إلى علة استعمال هذا المظهر اللهجيّ في الشعر لوجدنا أنه يُحقق الخفة واتساع القول وهذا ممّا يحرص عليه الشعراء ، سوى أنه يُحقق مطلبًا موسيقيًا مُهمًا ، وهو الحفاظ على قافية القصيدة حتى لا تتحوّل من التقييد إلى الإطلاق .

ومن الشواهد الّتي استُعملت فيها هذه اللهجة قول الأعشى ميمون بن قيس :

إلى المرءِ قيسٍ أُطيلُ السُّرَى وآخذُ من كلِّ حيٍّ سُصُمْ [1]

فالأصل : عصما ؛ لأنه مفعول منصوب .

وقول بشر بن أبي خازم الأسديّ :

كفى بالنأي من أسماء كافي وليس لنأيها إذ طال شافي [2]

فالأصل أن يقول : (كافيا) ؛ لأنه مفعول مطلق وحقه النصب .

وقول الشاعر :

ألا حبّذا غنْمٌ وحسْن حديثِها لقد تركتْ قلبي بها هائمًا دَنِفْ [3]

والأصل : دنِفا .

وقد استعمل الصيرفيُّ هذه اللهجة في شعره في عدّة مواضع ، منها :

• قوله :

جاءكِ اليوم هاتفُ الأمسِ يشكو نَفَسًا حائرًا وقلبًا مُحطَّمْ [4]

و(محطَّم) نعت للمنصوب .

• وقوله :

قد كحّل النومُ جفوني فلمْ يدعْ لطيف النوم فيها أملْ [5]

و(أمل) مفعول لـ(يدع) .

• وقوله :

ودّعتُكم جميعكم ولم أزَلْ بحَيْرتي في عالمي لصيقْ [6]

و(لصيق) خبر (لم أزل) .

ومن المعروف أن في القافية المقيدة صرامة وجهامة ليست في القافية المطلقة، والقافية المقيدة مطلوبة هنا للشاعر لارتباط وقوع هذه الظاهرة في شعره بمواقف الحزن والأسى .

(1) ديوان الأعشى/197 ، وانظر : خزانة الأدب 445/4 ، والأعشى من بكر بن وائل الّتي ينتهي نسبها إلى ربيعة ، انظر : سبائك الذهب /54 . (2) خزانة الأدب 439/4 .

(3) مجهول القائل،المساعد 302/4، وهمع الهوامع 205/2.

(4) الألحان الضائعة/21. (5) الشروق/17.

(6) صلواتي أنا /62 ، وانظر مواضع أخرى في : الألحان الضائعة /32 ، زاد المسافر /32 ، 43.

المبحث الثاني
حذف الحروف

وفيه أربع قضايا :

- **الأولى** : حذف (قد) من جملة الحال ذات الفعل الماضي .

- **الثانية** : حذف حرف العطف .

- **الثالثة** : حذف (أن) المصدريَّة .

- **الرابعة** : حذف همزة الاستفهام .

حذف (قد) من جملة الحال ذات الفعل الماضي

يرد الحال جملة خبريَّة ، إمَّا اسميَّة ، أو فعليَّة فعلها مضارع ، أو فعليَّة فعلها ماضٍ ، " وفي وقوع الماضي حالاً خلاف ، حيث يجيزه الكوفيُّون والأخفش ، ويمنعه البصريُّون،لكنَّهم أجمعوا على جوازه إذا كانت معه (قد) أو كان وصفًا لمحذوف"[1].

واشتراط سبق (قد) ظاهرةً أو مقدَّرة لجواز مجيء جملة الفعل الماضي المُثبَت حالاً هو مذهب البصريِّين سوى الأخفش [2] ، وهو أيضًا مذهب الفرَّاء [3] ، أمَّا سائر الكوفيين ، والأخفش وابن مالك من البصريِّين [4] ، فيجيزون وقوع الماضي حالاً بلا اشتراط سبقه بـ(قد) ظاهرة أو مضمرة [5] ، وقد استدلُّوا بأدلَّة من النقل ومن القياس ، فمن الشواهد الصحيحة الَّتي تؤيِّد قول الكوفيين وابن مالك : ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [6] ، ويقوِّي كون ﴿ حَصِرَتْ ﴾ حالاً أنها قُرِئَت : (أو جاؤوكم حصرةً صدورهم) [7] ، ومثلها قوله تعالى : ﴿ هَـٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ [8] ، فـ﴿ رُدَّت ﴾ فعل ماضٍ واقع حالاً من غير (قد) قبله .

ومن شواهده في الشعر قول امرئ القيس :

لَهُ كَفَلٌ كالدَّعْصِ لَبَّدَهُ النَّدَى ... إلى حارِكٍ مِثلِ الغَبيطِ المُذَأَّبِ [9]

وقول النابغة الذبياني :

سبقتَ الرجالَ الباهشين إلى العُلا ... كسَبْقِ الجوادِ اصطادَ قبلَ الطوارِدِ [10]

وقول طرفة :

وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحنَّبًا ... كسِيدِ الغَضى نبَّهْتَهُ المُتورِّدِ [11]

---

(1) الإنصاف 252/1 .
(2) شرح الأشموني 41/2 .
(3) معانيه 24/1 ، 282 .
(4) انظر: الإنصاف 252/1 ، وشرح التسهيل 372/2.
(5) انظر تفصيلاً أكثر للآراء في:ارتشاف الضرَب1610/3.
(6) سورة النساء، الآية 90 .
(7) للحسن وقتادة ويعقوب ، ونقلت عن عاصم في رواية حفص ، انظر : الدر المصون 67/4 وما بعدها .
(8) سورة يوسف ، الآية 65 .
(9) ديوانه /33 ، والحارك : العجز ، والغبيط المذأَّب : القتب المتَّسع .
(10) ديوانه /41 .
(11) شرح القصائد العشر /134 ، والمحنَّب : الفرس الأقنى الذراع ، والمتورِّد : الَّذي يطلب أن يرد الماء .

وقول أبي صخر الهذلي :

وإنِّي لَتعْرُوني لذكراكِ هـزَّةٌ كما انتفضَ العُصفورُ بلَّلَهُ القطْرُ [1]

ومن أدلَّة القياس [2] :

- أنَّ كلَّ ما جاز أن يكون صفة للنكرة جاز أن يكـون حـالاً للمعرفـة ، والفعـل الماضي يجوز أن يكون صفة للنكرة ، فجـاز أن يكـون حـالاً للمعرفـة ، وإذا صحَّ : مررت برجل قعد ، صحَّ : مررت بالرجل قعد.
- وقد أجمعوا على جواز قيام الفعل الماضي مقام الفعل المسـتقبل ، كمـا فـي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [3] ، أي : يقول فإذا جـاز أن يُقام الماضي مقام المستقبل جاز أن يُقام مقام الحال .

والشواهد الفصيحة تؤيِّد أدلَّة القياس ، وتنطق بكثرة وقوع الماضي المُثبَت حالاً غيـر مسبوق بـ(قد) ظاهرة أو مقدرة ، فدعوى لزومها " لا تقوم عليها حجَّـة ؛ لأنَّ الأصـل عدم التقدير ، ولأنَّ وجود (قد) مع الفعل ... لا يزيد معنى على ما يُفهـم بـه إذا لـم تُوجد ، وحقُّ المحذوف المُقدَّر ثبوته أن يدلَّ على معنى لا يُدْرَكُ بدونه " [4] ، وما لـم يفد معنىً زائدًا فـتقديره تكلُّف لا حاجة إليه ، لا سيَّما مع كثرة المنقـول بعدمـه ، فـإنَّ المقاييس العربيَّة إنَّما تُبنى على وجود الكثرة .

نأتي إلى ذكر الأبيات التي أتى فيها الصيرفي بالفعل الماضي واقعًا حالاً غير مسبوق بـ(قد) ، وهي قوله :

وترنو إلى صفحاتِ السماءِ رنوَّ الأسير رأى آسِرَهْ [5]

وقوله :

طاويًا صيفَهُ بلفحته الحرَّى تجلَّى بها لهيبُ أنينكْ [6]

وقوله :

أفينسى الآلامَ حرَّقَت القلبَ وأفنتْ ذُبالة الأحشاءِ ؟ [7]

---

(1) ابن يعيش 67/2 ، المقرَّب 162/1 ، خزانة الأدب 254/3 . (2) انظر : الإنصاف 252/1 وما بعدها .
(3) سورة المائدة ، الآية 116 . (4) شرح التسهيل 372/2 .
(5) الألحان الضائعة /17 . (6) السابق /19 .
(7) السابق /23 .

وقوله :

ما أعجب الصمتَ أحياني وأنطقني فهل يحرك هذا الصمت منشدهُ ؟ [1]

وقوله :

يا عروس السماء عودي إليها عانقيها كالطفل عانق أمَّهْ [2]

وقوله :

ذِكَرٌ ممزَّقة الجناحينِ استقرَّا في الترابْ [3]

وغيرها [4] ، فقد أتى بالأفعال الماضية - وهي في الأبيات المذكورة : رأى ، تجلَّى حرَّقَت ، أحياني ، عانق ، استقرَّا - واقعةً حالاً ولم تسبَق بـ(قد) ، وله في أسلوب القرآن الكريم وفي الفصيح من الشعر ما يجعله على الأصل من غير تكلُّف تقديرٍ وتأويل، ووجود هذه الظاهرة في شعره دليل على استمراريتها في العصر الحديث وهو ما يشهد لصحة رأي ابن مالك والكوفيين.

---

(1) الشروق /31 .

(2) صلواتي أنا /68 .

(3) النبع /11 .

(4) انظر : الألحان الضائعة /31 ، 61 ، صلواتي أنا /76 ، 95 ، عودة الوحي /65 ، نوافذ الضياء /56 .

حذف حرف العطف

ورد حذف حرف العطف مع بقاء المعطوف به في نصوص كثيرة ، فممَّا جاء شاهدًا لحذف الواو :

- قول النبيِّ ﷺ : " تصدَّق رجلٌ من دينارِه ، من درهمه ، من صاع بُرِّه ، من صاع تمره " [1] ، أي : من دينارِه إن كان ذا دينار ، ومن درهمه إن كان ذا درهم ... [2]
- قول الشاعر :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ ممَّا يغرس الودَّ في فؤاد الكريمِ [3]

أي : كيف أصبحت وكيف أمسيت .

- ما أنشده ابن الأعرابيّ من قول الراجز :

وكيف لا أبكي على عَلاَّتي
صبائحي ، غبائقي ، قيلاتي [4]

- ما سمعه أبو زيد من قول أحد العرب : **أكلت خبزًا لحمًا تمرًا** ، أي : أكلت خبزًا ولحمًا وتمرًا [5].

وممَّا جاء شاهدًا لحذف (أو) :

- قول عمر ﷺ : " صلَّى رجل في إزار ورداء ، في إزار وقميص ، في إزار وقِباء ... " ، أي : في إزار ورداء ، أو في إزار وقميص [6].
- ما حكاه أبو الحسن الأخفش [7] من أنَّ العرب تقول : **أعطه درهمًا درهمين ثلاثة** ، يعنون : أو درهمين أو ثلاثة .

ولانحصار المسموع في (الواو) و(أو) خصَّهما بعضُ النحاة دون باقي حروف العطف بجواز الحذف [8] .

---

(1) رواه مسلم 704/2 في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشقِّ تمرة ... ، برقم 1017 .
(2) شرح التسهيل 380/3 . (3) السابق .
(4) الخصائص 290/1 . (5) عمدة الحافظ 641/2 .
(6) رواه البخاري 143/1 في أبواب الصلاة في الثياب، باب الصلاة في القميص والسراويل ... ، برقم 358 .
(7) معاني القرآن للأخفش 716/2 ، 717 . (8) انظر : شرح الأشموني 398/2 .

وتختلف نظرة العلماء إلى هذه النصوص ، فابن مالك [1] يجيز حذف العاطف بناءً عليها عند أمن اللبس ، وهو اختيار السيوطيّ ، وقد وصفه بأنّه " الأصحّ " [2] .

ويمنع الحذف ابن جنّي [3] ويجعل المسموع منه شاذًّا ، وتبعه السهيليُّ [4] ، وابن الضائع فيما حُكي عنه [5] ، ويعلّلون المنع بأمور منها : أنّ الحروف دالّة على معانٍ في نفس المتكلّم ، وإضمارها لا يفيد معناها ، وأنّ حروف النفي والتأكيد والتمنّي والترجّي لا يجوز حذفها ، فتُقاس حروف العطف عليها ، ويؤوّلون المسموع من حذف حروف العطف على كون بعض المعطوفات بدلاً من بعض [6] .

وحجج المانعين لا تسلم من طعن ، فوصْف ابن جنّي للمسموع بأنّه شاذّ لا يعضده دليل ، وقد وقع ابن جنّي في التعميم حين قال بعد إيراده البيت والرجز وسماع أبي زيد: " وهذا كلّه شاذّ ، ولعلّه جميع ما جاء منه " [7] ؛ فحكمه ظنّيٌّ لا يستند إلى استقراء للمسموعات ، وكثرتها تنفي الشذوذ ، وأمّا قولهم إنّ الإضمار لا يدلُّ على المعنى الّذي في نفس المتكلّم فهو مبنيٌّ على افتراض أنّ النطق وحده يفيد ذلك المعنى ، وهو افتراض خطأ ، ثمّ إنّهم لا يخالفون في جواز إضمار أداة الاستفهام ؛ لأنّ للمستفهِم هيئة تخالف هيئة المخبِر ، فكذلك حرف العطف ينوب عنه عند حذفه ما يحيط بالنصّ من قرائن كالتنغيم وغيره ، فبهذه القرائن فُهم ما ورد بحذفه دون لبس ، أمّا حمل المسموع على بدل الغلط فهو من أوهى الحجج ، ولا يصحُّ بحال ، وفساد المعنى به يكفي لإبطاله .

ولحذف حرف العطف فوائد يمكننا أن نتبيّن شيئًا منها في معالجة بعض أبيات الصيرفيِّ الّتي استعمل فيها حذف حرف العطف :

- في قوله يخاطب (يحيى) ابن أخته اليتيم :

وامرح كعصفور الصباح الراقص المفتتِنِ
يطفر فوق النهر ، فوق العشب ، فوق الغصُنِ [8]

---

(1) انظر : شرح التسهيل 381/3 ، عمدة الحافظ 640/2 .
(2) انظر: همع الهوامع 140/2.
(3) انظر: الخصائص 291/1، وسرّ صناعة الإعراب 635/2 وما بعدها.
(4) انظر : نتائج الفكر /263 .
(5) انظر : همع الهوامع 140/2 .
(6) انظر : المرجعين السابقين .
(7) الخصائص 291/1 .
(8) صدى ونور ودموع /160 ، و(يحيى) المذكور في القصيدة هو المستشار/ يحيى قدري.

والمعنى : فوق النهر وفوق العشب وفوق الغصن ، وحذف الواو العاطفة هنا يؤدِّي جزءً من المعنى في تركيب البيت الّذي عمد الشاعر فيه وفي البيت قبله إلى خلق جوٍّ من الحركة السريعة الراقصة ، فاستعمل لذلك الأمر بالمرح ، والتشبيه بالعصفور ، بما له من خفّة في الحركة فوق رقصه وافتتانه ، ثمَّ أتى في بيت القصيد بالفعل (يطفر) - والطفرة : الوثب في ارتفاع [1] - ، فناسب هذا تتابع الظروف بلا عطف ؛ لأنَّ الإتيان بحرف العطف في البيت يبطئ من حركته ويُضعف الصورة فيه ويذهب بقدر غير يسير من المعنى المراد ، فحذفه أجود .

- وقوله في رثاء علي أحمد باكثير :

ما احتراقي ، ما لوعتي ، ما رثائي غيرُ إحساس مَن أُصيب بفجعه [2]

والمعنى : ما احتراقي وما لوعتي وما رثائي ، وكان يمكنه أن يقول : ما احتراقي ولوعتي ورثائي ... ـ بلا مانع من وزن أو غيره ـ لكنّه حذف حرف العطف ليكرِّر (ما) ويجعل أسلوب التخصيص عاملاً مع الكلمات الثلاث (الاحتراق ، واللوعة ، والرثاء) سواء ، وهذا التكرار مقصود ؛ للتأكيد على صدورها جميعًا من إحساسه بعظم المصاب ، ولأنَّ جمعها معًا أخَّر ذكر باقي الأسلوب المتمِّ للمعنى فخشي أن يضعُف المعنى بتأخُّره ، فأعانه حذف حرف العطف على تكرار (ما) وأداء المعنى بلا ضعف .

- وقوله في رثاء أبيه :

أبـوَّةٌ أخـوَّةٌ صداقةٌ فقدتُها في خفقة الشهيقْ [3]

والمعنى : أبوَّة وأخوَّة وصداقة ، وأفاد حذف الواو حشد المعاني الثلاثة وكأنَّها معنى واحد ، حتّى لا يُتوهَّم تغايرها إذا تعاطفت ، فهو يريد أن يقول إنَّ أباه جمع الصفات الثلاث بحيث صارت شيئًا واحدًا لا ينفصم .

- وقوله في صورة الحسناء :

كم قلوبٍ حولها من شوقها تتجارى ، تتهاوى ، تحترق [4]

وقد بيَّن حذف الواو العاطفة سرعة وصول القلوب إلى الاحتراق بلا مهلة ، ويصحُّ الاعتماد على الأداء المسرحيِّ في البيت ، فالتنغيم يبيِّن المعنى ويبرزه إذا نُطق الشطر الثاني بسرعة ويفصل كاللمحة بين الأفعال الثلاثة ، وليس يصحُّ هذا إذا ذُكرت الواو .

---

(1) القاموس المحيط / باب الراء ، فصل الطاء .
(2) زاد المسافر /34 .
(3) صلواتي أنا /63 .
(4) النبع /68 .

• ومن حذف (أو) في شعره قوله :

ما أروع الحياة أن نظنّها جميلهْ

بالوهم ، بالتفكير ، بالإيحاء ، بالمَخيلهْ [1]

والمعنى : بالوهم أو بالتفكير ... ، والاعتماد على التنغيم في البيت واضح ، لكنّه التنغيم بإبطاء إيقاع النطق ، كما يقول المماطل ببرود لصاحب الحقّ الّذي يسأله متى يؤدّي ما عليه : اليوم .. غدًا .. بعد أسبوع ، والإبطاء هنا مناسب لجوّ الهدوء والاسترخاء الّذي يشيع في القصيدة وفي البيت ، ولا أظنُّ أنّ التنغيم يؤدّي معناه إذا قال: بالوهم أو بالتفكير أو بالإيحاء أو بالمخيلة [2] .

---

(1) السابق /75 .

(2) لحذف حرف العطف في شعر الصيرفي مواضع أخرى ، انظر : الشروق /88 ، زاد المسافر /59 ، شهرزاد /54 ، نوافذ الضياء /35 ، النبع /59 ، صلواتي أنا /21 .

حذف (أن) المصدرية

الحديث هنا عن حذف (أنْ) في غير المواضع القياسيَّة ، وهو مطَّرد كثير في العربيَّة ، يقول ابن يعيش : " وقد اطَّرد حذف (أنْ) وإرادتها " [1] ، ومن شواهده القرآنيَّة قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [2] ، أي : أن أعبد ، وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ﴾[3] ، أي : أن يريكم .

ومن شواهده في الشعر قول طرفة :

ألا أيُّهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذاتِ هل أنتَ مُخْلِدي ؟ [4]

وقول عروة بن الورد :

فقالوا : ما تشاءُ ؟ فقلتُ : ألهو إلى الإصباحِ آثَرَ ذي أثيرِ [5]

فالمراد في الأبيات : أن أحضر الوغى ، وأن ألهو .

ومن شواهده في كلام العرب قولهم في المثل:(تسمع بالمعيديِّ خيرٌ من أن تراه) [6]، فالمراد : أن تسمع .

وقد وقع خلاف بين البصريين والكوفيين في عملها النصب مع حذفها ، حيث يرى الكوفيُّون أنَّ (أنْ) تعمل النصب في الفعل المضارع مع الحذف من غير بدل ، أمَّا البصريُّون فمذهبهم أنَّها إذا حُذِفت ارتفع الفعل وإن كانت مرادة [7] ، ويكون نصب الفعل حينئذ شاذًا [8] .

ولن أُعرِّج بالتفصيل على هذا الخلاف ؛ لأنَّ الصيرفيَّ لم يأت بـ(أن) محذوفة ناصبة ، بل سار على الأصل ، والأبيات التي ورد فيها الحذف هي :

- قوله :

يا ذابلَ الزهرِ لو أسطيعُ والهَفي أُحييكَ بالدمِ منّي كنتُ أُحييكا [9]

---

(1) ابن يعيش 28/4 . (2) سورة الزمر ، الآية 64 . (3) سورة الروم ، الآية 24 .
(4) شرح القصائد العشر /132 ، وانظر : الكتاب 99/3 ، أمالي ابن الشجري 124/1 .
(5) ديوانا عروة بن الورد والسموأل /32 . (6) مجمع الأمثال 177/1 . (7) انظر: الإنصاف 559/2 .
(8) مجالس ثعلب 317/1 ، و(ثعلب) إمام نحاة الكوفة ، وهم على خلافه في هذه المسألة ، وانظر أيضًا : شرح الجمل لابن عصفور 143/2 ، شرح الكافية للرضي 82/4 ، رصف المباني /195 .
(9) الألحان الضائعة /78 .

فالأصل : لو أستطيع أن أحييك ، وقد سار على القياس حيث رفع الفعل بعد حذف (أن) ولو أعمل فيه النصب لظهر على الياء، وبهذا الحذف صار الفعل المضارع وحده قائمًا مقام المصدر ، والمضارع بما فيه من دلالة على تجدُّد الحدوث أقدر من المصدر على بيان شدَّة التمنِّي لإحياء الزهر الذابل، وقد حوَّل (أستطيع) إلى (أسطيع) [1] – وهو قصدٌ إلى تمني سهولة الفعل – [2] إضافة إلى حذف (أن) ، وهذا إيجاز يطلبه المقام ، ثم إنه لا يفصل بين الاستطاعة والفعل الذي تمناه سوى الحسرة للعجز (والهفي) ، فالمقام إذن لا يحتمل مزيدًا من الفصل بين التمنِّي والمُتمنَّى ، فلا مكان لـ(أن) المصدريَّة في هذا الموضع .

• وقوله :

جدولُ الرحمةِ فيهِ أوشكَ الآنَ يغيضُ [3]

وحديث الشاعر هنا عن الكون العريض الذي ضاق بالبلبل المغرِّد ، وقد سار فيه على القياس حيث رفع الفعل بعد حذف (أن)، ودلالة الحذف يرشدنا إليها الفعل (أوشك) [4] بما له من دلالة على مقاربة الحدوث ، وقد طعَّم الشاعر دلالته تلك بإتيانه بـ(الآن) - الدالَّة على الزمن الحاضر - بعده ، فلو أتى بـ(أن) بعد هذه الدلالة على المقاربة الوشيكة لوقع في التناقض بين اللفظ والمعنى ؛ لتطويله الكلام بما لا يزيد في الدلالة بل يؤخر بيان الحدث المراد ، ولهذا حسُن حذفها وكان أكثر مناسبةً للمعنى .

• وقوله :

وانقلْ نقوشَ الثوبِ عنهُ إذا أردتَ بهِ تَباهي [5]

والخطاب في هذا البيت صادر من النجمات موجَّه إلى الربيع الذي ازدهى على الرياض، والضمير في (عنه) عائد على ثوب الحسناء ، وأصل الكلام : إذا أردت أن تتباهى به ، والحذف لم يقتصر على (أن) المصدريَّة فحسب ، بل امتدَّ إلى الفعل فحذف منه حرف المضارعة [6] ، إذ الأصل (تَتَباهى) ، والمعنى : إذا أردت التباهي به ، ولعلِّي لا أبالغ إذا قلت إنَّ الشاعر أراد إبهام العبارة ، خاصَّة وقد قدَّم الجارَّ والمجرور على متعلَّقهما ، فيمكن أن تُقرأ الجملة على وجهين :

---

(1) وذلك بحذف تاء الافتعال ، وانظر أقوالاً أخرى في : الدرّ المصون 510/7 .

(2) انظر : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنيَّة /246 . (3) صدى ونور ودموع /62 .

(4) واقتران الفعل بعد (أوشك) بـ(أن) هو الكثير الغالب ، انظر : شرح الأشموني 278/1 .

(5) نوافذ الضياء /60 .

(6) هذا على مذهب الكوفيين ، أما المرويُّ عن سيبويه فهو أنَّ المحذوف فاء الفعل ، يُراجع : شرح شافية ابن الحاجب 290/3 .

الأوَّل : على حذف (أن) المصدريَّة ، فيكون التركيب كلُّه كلامًا واحدًا ، وهـو شـرطٌ تقدَّم جوابُه ، ويكون المعنى : إذا أردت أن تتباهى بثوبها فانقل نقوشه عنه .
الثاني : على أنَّ (تباهى) فعل أمر - مبنيٌّ على حذف حرف العلَّة ، والألف فـي آخـره للإطلاق - وقد قدَّم عليه الجارُّ والمجرور لإفادة التخصيص ، فتكون (إذا أردت) نهاية جملة ، وتكون (به تباهى) كلامًا مستأنفًا ، فكأنَّه يريـد أن يقـول : بثوبهـا تَبـاهَ أيهـا الربيع ، لا بزهورك وألوانك ، وهذا مناسب للمبالغـة المقصـودة فـي بيـان حسـن ثوبهـا وتفضيله على الربيع وبهجته .

- وقوله يخاطب أحمد زكي أبي شادي :

أخي شاعرَ النورِ .. ريحُ الظلام تحاولُ تطفئُ ما تُشعِلُ [1]

ولحذف (أن) المصدريَّة بعد الفعل (تحاول) خصوصيَّة ؛ فهـو يضـيف إلـى معنـى المحاولة ويقوِّيه بالدلالة علـى شـدَّتها ، لمجـيء الفعـل المقصـود بـالعلاج بعـد فعـل المحاولة من غير فاصل بينهما ، ومثل هذا البيت قوله :

تحاول موجةُ النهرِ تُناجي ذلك الزورقْ [2]

---

(1) صدى ونور ودموع /181 .
(2) الألحان الضائعة /85 .

حذف همزة الاستفهام

الهمزة أصل أدوات الاستفهام ، ولهذا اختصَّت بأحكام ، منها جواز أن تُحذَف ، سواء جاءت بعدها (أم) أو لم تجئ [1]، فمن شواهد حذفها وهي متقدِّمة على (أم) قول عمر بن أبي ربيعة :

فوالله ما أدري ، وإنِّي لحاسبٌ بسبعٍ رمين الجمر أم بثمان ؟ [2]

فالمعنى المفهوم : أبسبعٍ رمين الجمر أم بثمان ؟ ومن حذفها من غير تقدُّم على (أم) قول الكميت :

طربتُ ، وما شوقًا إلى البيض أطربُ ولا لعبًا منِّي ، ونو الشيبِ يلعبُ ؟ [3]

والمراد : أوَ ذو الشيب يلعبُ ؟

وقد اختلفت نظرة النحاة إلى هذا الحذف ، فبعضهم يخصُّه بالشعر [4] ، أو يعبِّر عنه بالاضطرار [5] ، مع أنَّه وارد في القرآن الكريم والحديث النبويِّ الشريف وفي المأثور النثريِّ عن العرب ، فالحذف وارد في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[6]، والمعنى : أوَ تلك نعمة تمنُّ بها ... ؟ وكذلك في قراءة ابن محيصن [7] لقوله تعالى : ﴿ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [8] ، فالهمزة مرادة في الآية ، وورد الحذف كذلك في قول النبيِّ ﷺ للملَك : " وإن زنى وإن سرق ؟ " [9] ، وفي المثل : تُعْلِمُني بضبٍّ أنا حَرَشْتُه ؟ [10] ، وغيرها كثير .

أمَّا الَّذين نظروا إلى كثرة الشواهد الواردة بحذف همزة الاستفهام فقد أجازوا حذفها في الاختيار، يقول ابن مالك : " وقد كثُر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حُذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها " [11]، وجواز حذفها في الاختيار مرويٌّ عن الأخفش [12] ، واختار المرادي " أنَّ حذفها مطَّرد إذا كان بعدها (أم) المتَّصلة ؛ لكثرته نظمًا ونثرا " [13] .

---

(1) مغني اللبيب /19 .
(2) ديوانه/209.
(3) مغني اللبيب /19 .
(4) انظر: الكتاب 174/3.
(5) انظر:المقتضب294/3، وابن يعيش154/8.
(6) سورة الشعراء،الآية 22.
(7) انظر : المحتسب 50/1 .
(8) سورة البقرة ، الآية 6 .
(9) رواه البخاري 417/1 في كتاب الجنائز ، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه ... برقم 1180 .
(10) مجمع الأمثال 172/1 .
(11) شواهد التوضيح والتصحيح /87 .
(12) الجنى الداني /35 ، وانظر : معاني الأخفش 645/2 ، 646 .
(13) الجنى الداني /35 .

ويبدو القول بجواز الحذف في الاختيار أوجَه وأقرب إلى روح اللغة ، لأنَّ ذلك لا يتنافى مع شرط الحذف وهو وجود الدليل والقرينة ، ولا وجه لتخصيصه بالاضطرار مع وروده في المنقول الصحيح ممَّا لا اضطرار فيه .

ويُبرز حذف همزة الاستفهام الاعتماد على غير المنطوق في إيصال الدلالة حين تُحذف الأداة الَّتي هي دليل على الأسلوب ، ويُستعاض عن غياب الأداة حينئذ بأحد أمرين :

1- نغمة الأداء في الإنشاد ، وهي أمرٌ سياقيٌّ محيطٌ بالنصِّ لا يمكن إغفاله؛ لأنَّ " العنصر الأدائيّ للغتنا عنصرٌ حاكمٌ للنظام " [1] ، فلا بُدَّ من اعتباره والأخذ به ، وليس غريبًا أن يكون التنغيم سبيلاً للفهم النحويِّ في لغةٍ أساس اعتمادها على المشافهة [2] .
2- علامة الترقيم الدالَّة على الاستفهام ، وهي قرينةٌ لا تقلُّ عن الأولى أهمِّيَّة ؛ فهي بديل التنغيم في النصِّ المكتوب ، لا سيَّما والشعر الحديث قد تغيَّرت وسائل إبرازه وتلقِّيه فأصبحت ـ في الغالب ـ تعتمد على الكتابة والقراءة ، لا على الإنشاد والاستماع .

نأتي إلى ذكر ما ورد من حذف همزة الاستفهام في شعر الصيرفي ، وقد أحصيتُ خمسة مواضع استعمل فيها الحذف ، منها ثلاثة مع (أم) ، وهي :

- قوله :

تَصدُقُ عيني اليومَ فيما تراهْ أم لا ترى إلا رُؤى حالمِ ؟ [3]

والاستفهام في البيت لطلب التصوُّر ، والأصل : أتصدق عيني ... ، وحذف همزة الاستفهام في كلام دالٌّ على الشكِّ والتردُّد يزيد في دلالته ؛ لأنَّه يجعل الكلام متردِّدًا بين الإخبار والاستفهام فيعمِّق الإحساس بالحيرة ، وهذا مناسب للمعنى المراد .

---

(1) من وظائف الصوت اللغوي /112 . (2) انظر : المرجع السابق /113 .
(3) الشروق /16 .

• وقوله على لسان شهرزاد :

أنا في القصرِ أم الغابِ أعيشُ ؟
وحـوالـيَّ أنـاسٌ أم وحـوشُ ؟
ودمـاءٌ مـا أراهُ أم نـقـوشُ ؟
ومهادٌ تلك أم تلكَ نعوشُ ؟ (1)

والمراد : أفي القصر أنا أعيش أم في الغاب ؟ أأناسٌ حواليَّ أم وحـوش ؟ ... وفائـدة الحذف هنا أنه اختصر الكلام بحذف ما هو معلوم ، ودلالة الاستفهام في البيت التشبيه والتعجُّب ، فليس الاستفهام في البيت حقيقيًا وإنما القصد إلى تشـبيه القصـر بالغابـة ، والناس الذين حول شهرزاد بـالوحوش ، ونقـوش القصـر بالـدماء ، ومهـاده بـالنعوش ، وإظهار العجب من كونها هكذا على خلاف ما هو مُعتاد ومُتوقَّع .

• وقوله مخاطبًا بنت صديقه الشاعر صقر القاسمي :

تسبيحةٌ أم شِعرْ ماقلتِ يا ميسون ؟ (2)

وحذف همزة الاستفهام في البيت على مقتضـى الحـال ، فالقصـيدة مبنيَّـة علـى الجمـل القصيرة المختصرة والمتنوِّعة القوافي لتناسب توجيهها إلى فتاة صغيرة مبتدئة فـي قـرض الشعر ، فالاختصار فيها مطلوب ، وفي حذف الهمزة طلب للخفَّة ، ودلالة الاستفهام هـي التشبيه ، ويبدو أنه تشبيه مقلوب ، حيـث أتـى بالمشبَّه بـه (التسـبيحة) قبـل المشـبَّه (الشعر) لإفادة المبالغة في مدح شعرها وأنه كالتسبيحة .

وجاء حذف همزة الاستفهام في موضعين من غير (أم) بعدها ، وهما :

• قوله :

يا أغاني الربيع ، عندكِ وزنٌ للنشيدِ الذي تُنوسيَ وزنُهْ ؟ (3)

والتقدير : أعندكِ وزنٌ ... ؟ ، ودلَّ الحذف في البيت على شدَّة رغبته في ما يسأل عنـه أغاني الربيع ، فقد أراد أن يسأل من جهة ، ويُخبر بوجود ما يتمنَّاه مـن جهـة أخـرى ، فأخفى أسـلوب الاستفهام بحذف الهمزة ليضمن لنفسه بعضًا من الطمأنينة، كما نريـد أن نسـأل أحدًا عن شيء ولا نريده أن ينفي وجوده فنخاطبه بصيغة الخبر لا الاستفهام .

---

(1) شهرزاد /24 . (2) عودة الوحي /72 . (3) الألحان الضائعة /20 .

• وقوله :

مسافرٌ بلا حقائبْ ؟ عجيبةُ العجائبْ .. ! [1]

والتركيب وحده لا يقطع بإرادة الاستفهام، بل يحتمل أن يكون خبرًا وأن يكون استفهامًا، وأكّد كونَه استفهامًا شيئان :

1- الرمز الكتابيّ الّذي هو من صنع الشاعر ، حيث طُبع الديوان في حياته .

2- قوله بعد ذلك :

رنَّ بمسمعي السؤالْ ...

فابتسمْت

وقلت للحمّال : يا حمّالْ ...

وحذف الهمزة في قوله (مسافر بلا حقائب) نزوع بأسلوب الشعر إلى أسلوب الكلام المنطوق طلبًا لإضفاء الواقعيَّة الفنيَّة ، فالسؤال صادر من الحمّال الّذي لو سأل نطقًا لاستعمل الصيغة نفسها .

(1) زاد المسافر /7 .

المبحث الثالث

حذف الأسماء

وفيه ثماني قضايا :

- **الأولى** : حذف عائد الموصول .

- **الثانية** : حذف المبتدأ .

- **الثالثة** : حذف الخبر .

- **الرابعة** : حذف الخبر في باب (كان) .

- **الخامسة** : حذف خبر (لا) المشبَّهة بـ(ليس) .

- **السادسة** : حذف خبر (لا) النافية للجنس .

- **السابعة** : حذف المفعول به .

- **الثامنة** : حذف الموصوف .

حذف عائد الموصول

يلزم كلَّ موصول أن تكون بعده صلة تعرِّفه ويتمُّ بها معناه ، سواء كانت ملفوظة أو منويَّة ، ويُشترط في هذه الصلة أن تشتمل على ضمير مطابق للموصول في الإفراد والتذكير وفروعهما ، ويُسمَّى هذا الضمير " العائد " ، ووظيفته الربط بين الموصول والصلة [1] .

وتَرِدُ على هذا العائد أحوال الإعراب من رفع ونصب وخفض ، والَّذي يعنينا في هذا المقام هو حذف العائد المنصوب بالفعل ؛ فهو الوارد في شعر الصيرفي .

ويتَّفق النحاة على جواز حذف العائد المنصوب بالفعل، بل يوصف بأنه كثير [2]، وذلك لأنَّه في موضع المفعول ، إذ " المفعول كالفضلة في الكلام والمُستغنى عنه ، فيسهل حذفه " [3] ، يقول ابن الشجريُّ : " وحذف العائد من الصلة إنَّما يقع بالمنصوب المتَّصل غالبًا " [4] .

ويذكر ابن يعيش تفسيرًا لهذا الحذف فيقول : " وإنَّما حذفوا العائد من الصلة لأنَّ (الَّذي) وما بعده من الفعل والفاعل والمفعول جميعًا كاسمٍ واحد ، وكذلك كلُّ موصول يكون هو وصلته كاسمٍ واحد ، فكأنَّهم استطالوا الاسم وأن يكون أربعة أشياء كشيءٍ واحد ، فكرهوا طوله كما كرهوا طول اشهيباب واحميرار فخفَّفوه بحذف الياء وقالوا : اشهباب واحمرار ، كذلك لمَّا استطالوا طول الاسم بصلته حذفوا من صلته العائدَ تخفيفًا ، وإنَّما حذفوا الراجع دون غيره من الصلة إذ لم يكن سبيلٌ إلى حذف الموصول لأنَّه هو الاسم ، ولا إلى حذف الفعل لأنَّه هو الصلة ، ولا إلى حذف الفاعل لأنَّ الفعل لا يستغني عنه ، فحذفوا الراجع ... " [5] .

ومن شواهد هذا الحذف في كتاب الله تعالى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً ﴾ [6] ، وقوله : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [7] ، والتقدير : بعثَهُ ، عملتْهُ .

---

(1) انظر : شرح الأشموني 147/1 وما بعدها .
(2) انظر : ابن يعيش 152/3 ، والمقرب 61/1 ، وتخليص الشواهد /161 ، والأشموني 156/1 .
(3) ابن يعيش 152/3 . (4) أماليه 8/1 . (5) ابن يعيش 152/3 .
(6) سورة الفرقان ، الآية 41 . (7) سورة يس ، الآية 71 .

وقد ذكر النحاة لجواز حذف العائد المنصوب شروطًا ، هي [1] :

1- أن يكون متعيّنًا للربط ، بأن يكون ضميرًا واحدًا لا بدَّ للصلة منه ، فإن كان في الصلة ضمير آخر عائد على الموصول لم يجز حذفه ، فلا يجوز الحذف في مثل : جاء الّذي ضربته في داره .

2- أن يكون الراجع متّصلاً لا منفصلاً ؛ لكثرة حروف المنفصل وصعوبة تقديره .

3- ألاَّ يكون منفصلاً بعد (إلاَّ) ، فلا يجوز الحذف في نحو : جاءني الّذي ما ضربتُ إلاَّ إيّاه.

وقد استعمل الصيرفي حذف عائد الموصول في مواضع كثيرة ، فمنها :

• قوله :

والذي تحسِب ماءً إنَّه لمعةُ آلِ [2]

فالتقدير : والّذي تحسبه ماءً ، والخطاب في البيت لنفسه الّتي جرَّد منها شخصًا ، وصوَّره حائرًا ماضيًا في الصحراء على غير هدى ، وهو يائس من عثوره على واحة ، ظمآن إلى نبع من الماء الزلال ، ولا يرى غير السراب المخادع ، فأراد احتقار هذا السراب فلم يورِد الضمير العائد عليه ، أو لأنَّ ذكره يثير لديه الألم فآثر حذفه تفاديًا لذلك الألم .

• وقوله :

الكتابُ الّذي بعثتِ دواءٌ والدعاءُ الّذي دعوتِ شفاءُ [3]

والبيت مطلع قصيدة ردَّ بها على بطاقة وصلته وهو طريح أزمة قلبيَّة، جاء في هذه البطاقة:

إلى الشاعر رقيق القلب ، عذب الصوت ، مع تمنّياتي
بالشفاء العاجل والعافية السابغة والحياة المثمرة ...

جيهان السادات

فقد أراد أن يبيِّن تعظيمه للسيِّدة الأولى واحترامه لما جاء منها ، فاستغنى بذكر ضميرها الفاعل عن ذكر الضميرين العائدَين إلى الكتاب والدعاء ، حيث تتضاءل قيمتهما بجانب قدرها ، ثمَّ لأنَّ احتفاءه ليس بهما لكن بمن صدرا منها .

---

(1) انظر : ابن يعيش 152/3 ، والمقرَّب /61 ، وشرح الرضي 109/3 ، والأشموني 159/1 .

(2) صلواتي أنا /15 . (3) عودة الوحي /86 .

• وقوله في رثاء محمَّد رشاد عبد المطَّلب :

تخطَّيتَ ما سدَّ الطريقَ ولم تزلْ تُعاني الَّذي يُلقي الحقودُ المُعوِّقُ [1]

فالمراد : الَّذي يلقيه ... ، وحذف عائد الموصول هنا للاحتقار ، ثمَّ للتركيز على المُلقي وصفته (الحقود المعوِّق) ، فهو الأولى بالبيان لأنَّه السبب في المعاناة [2] .

---

(1) زاد المسافر /76 .

(2) انظر مواضع أخرى لحذف العائد المتَّصل المنصوب في : الألحان الضائعة /20 ، 68 ، الشروق /16 ، 21 ، 45 ، صلواتي أنا/49 ، 61 ، 63 ، 72 ، 116، عودة الوحي /100 ، صدى ونور ودموع /112، 135 ، 176 .

حذف المبتدأ

يَعرِض الحذف للمبتدأ ، ويكون واجبًا في مواضع ، منها [1] :

1- إذا كان مُخبَرًا عنه بنعت مقطوع؛ لمجرَّد مدح (مثل : الحمد لله أهلُ الحمد)، أو ذمٍّ (مثل : مررتُ بزيدٍ الفاسقُ)، أو ترحُّم (مثل : مررت بزيد المسكينُ).

2- بعد (سيَّما) إذا ارتفع الاسم بعدها ، نحو : ولا سيَّما زيدٌ .

3- في المصادر الَّتي انتصبت توكيدًا لنفس الجملة ، إذا رُفِعت فعلى إضمار مبتدإ لا يجوز إظهاره ، نحو قوله تعالى : ﴿ صُنْعَ اللهِ ﴾ [2] ، فلو قيل : صنعُ الله ، فالمعنى : ذلك صنعُ الله ، ولا يُذكَر المبتدأ .

ويكثر حذفه في مواضع [3] ، منها :

1- في جواب الاستفهام ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ﴾[4]، أي : هي نار الله .

2- وبعد فاء الجواب ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [5] أي : فهم إخوانكم .

3- وبعد القول ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [6] .

4- وبعد ما الخبر صفةٌ له في المعنى ، كما في قول الله تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾[7].

ويجوز حذفه إذا دلَّت عليه القرينة ، وممَّا حُذف فيه المبتدأ لقرينة في القرآن :

- قراءة العامَّة قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ [8] ، أي : موعظتنا معذرةٌ إلى ربِّكم [9] .

- قول الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ﴾ [10] ، أي : فصلاحه لنفسه ، وقد حسُن حذفَ المبتدإ دخولُ فاء الجزاء على ما لا يصلح للابتداء [11] .

---

(1) انظر : ارتشاف الضرب 1086/3 وما بعدها .
(2) سورة النمل ، الآية 88 .
(3) انظر : مغني اللبيب /822 وما بعدها .
(4) سورة الهُمَزَة ، الآيتان 5 ، 6 .
(5) سورة البقرة ، الآية 220 .
(6) سورة الفرقان ، الآية 5 .
(7) سورة التوبة ، الآية 112 .
(8) سورة الأعراف ، الآية 164 ، وقرأ حفص بن عاصم وزيد بن علي وعيسى بن عمر وطلحة بن مصرف: ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ بالنصب ، انظر : الدر المصون 494/5 ، 495 .
(9) الكتاب 320/1 .
(10) سورة الجاثية ، الآية 15 .
(11) ارتشاف الضرب 1086/3 ، والعبارة في المطبوع (ما لا يصح للابتداء) ، وتبدو مصحَّفة

ومنه في الشعر :

- قول المنذر بن درهم الكلبيّ :

فقالت : حنانٌ ، ما أتى بك هاهنا ؟ أذو نسبٍ أم أنت بالحيّ عارفُ ؟ [1]

والتقدير عند سيبويه : أمرُنا حنان ، أو : ما يُصيبنا حنان [2] .

- قول المرقّش الأكبر :

لا يبعد الله التلبُّب والـ ـغارات إذ قال الخميسُ : نَعَمْ [3]

أي : إذا قال الجيش : هذه نَعَمٌ فاطلبوها [4] .

وسمع سيبويه " بعض العرب الموثوق به يُقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : **حمدُ الله وثناءٌ عليه** ، كأنّه يحمله على مُضمَرٍ في نيّته هو المُظهَر ، كأنّه يقول : أمري وشأني حمدُ الله وثناءٌ عليه " [5] .

وقد استعمل حسن كامل الصيرفيّ حذف المبتدإ جوازًا في مواضع لا تكاد تُحصَى من شعره، ولكثرتها سأجتزئ بذكر بعض منها بما يكفي لبيان أغراض الحذف، فمنها :

• قوله في رثاء أحمد شوقي :

يُصغي فيسمع ألحانًا مُوقّعةً من جانب الفجر تسمو في قوافيها
رسالةٌ من وراء الغيب هابطةٌ من شاعرٍ خطرتْ أشعارُه تيها [6]

والمبتدأ المُقدَّر : هي (أي الألحان) ، والبيت جواب لسؤال مقدَّر افترض الشاعر وقوعه من المتلقّي ، فإنّه بعد أن قال (فيسمع ألحانًا موقّعة ...) شوّق المتلقّي وأثار اهتمامه فكان السؤال المتوقّع : ما هذه الألحان ؟ فجاء الجواب بحذف المبتدإ لتعجيل الفائدة الكائنة في الخبر (رسالة ...) .

• وقوله في رثاء الدكتور محمّد مندور :

ما لي أرى الصمتَ قد غامت سحابتُهُ على النفوسِ وهذا الصوت لم يُجبِ؟
حقيقةً أنا من دُنيا متاهتِها مشرّد اللُبِّ بين الشكّ والكذبِ [7]

والتقدير : موتُك حقيقة ... ، وداعي الحذف العلم به لدلالة المقام ، ثمّ لأنّ ذكره غير مراد من الشاعر ؛ فإنّه أراد إنكار وقوعه لاستعظامه إيّاه ، ويشهد لذلك قوله بعد البيت :

أينتهي في رحاب الصمتِ ذو قلمٍ مُناهضٍ لزمانٍ بائدٍ خربِ ؟!

---

(1) خزانة الأدب 112/2 . (2) الكتاب 320/1 . (3) ابن يعيش 94/1 ، ومغني اللبيب /684 .
(4) السابق . (5) الكتاب 319/1 ، 320 . (6) الشروق /73 . (7) صلواتي أنا /43 .

• وقوله في رثاء عبّاس محمود العقّاد :

أهُنا الصوتُ الّذي كان إذا ما ارتقى المنبر قالوا : ليثُ غابْ ؟ [1]

والتقدير : هذا ليث غاب ، وحذف المبتدإ المشار به إلى العقّاد في البيت يفيد تعيُّنَه واشتهاره ، فهو غنيٌّ عن الذكر ، وفيه أيضًا إشعار بالتفخيم والإكبار له .

• وفي قوله :

جديرٌ بأسمى التجلّات ممّن يناجيكَ يا بدر نجوى ملاكْ [2]

والتقدير : أنت جدير ، وحذف المبتدإ في هذا الموضع مناسب لمعنى المناجاة ، ففيه إيحاء بالهمس يناسبه حذف المبتدإ ، وفيه ادّعاء أنّ الخبر لا يصلح إلاّ له ، فهو وحده الجدير بأسمى التجلّات .

• وقوله في العدوان الثلاثي :

عجبتُ للقومِ أطماعٌ مفرّقةٌ قد ضمّها لاغتيال الشرقِ آرابُ [3]

والتقدير : أطماعهم أطماعٌ مُفرّقة ، وحذف المبتدإ في البيت جعل الخبر وكأنّه وصف لـ(القوم) ، وذلك يوحي بالمبالغة - فكأنّهم صاروا أطماعًا خالصة - وهذا مناسب لبيان ما فيهم من خسّة وحقارة بسبب استيلاء الطمع على طبعهم .

• وقوله في (غزّة) :

وحقّ ثرىً ضمّ من (هاشمٍ) عظامًا مقدّسةً لا تُهانْ
لَتخرجُ منكِ جيوشُ الهداةِ ويبدأُ منكِ انطلاقُ العنانْ
فتقلعُ ما خلّف الإنجليزُ وتُطفئُ ما يُوقِدُ الأمريكانْ
شراذمُ قد لفظتها الشعوبُ دعاها إلى حَتْفِها مُجرمانْ [4]

والحذف في قوله (شراذم) ، فالمبتدأ المقدّر (هم) أي الإنجليز والأمريكان وفي حذفه قصد إلى الإهانة ، فكأنّه لا يريد أن يدنّس لسانه بذكر الضمير العائد عليهم ، ثمّ لأنّه أراد أن يعجّل بذكر الوصف اللائق بهم (شراذم قد لفظتها الشعوب) إذا ما سأل سائل بعد ذكرهم في البيت السابق (وما الإنجليز ؟ وما الأمريكان ؟) .

---

(1) صلواتي أنا /87 .
(2) الألحان الضائعة /60 .
(3) صدى ونور ودموع /208 .
(4) صلواتي أنا /55 ، 56 .

حذف الخبر

" المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما ، فالمبتدأ معتمَد الفائدة والخبر محلُّ الفائدة " [1] ، والخبر في علاقة الإسناد هو المُسنَد ، والفرق بينه وبين المسند إليه أنَّ المسند إليه " أقْوَم ركن في الكلام وأعظمه ، والاحتياج إليه فوق الاحتياج إلى المسند ... بخلاف المسند ، فإنه ليس بهذه المثابة في الاحتياج ، فيجوز أن يُترَك ولا يُؤتَى به لغرض " [2] .

ولحذف الخبر مواضع يجب فيها ويلزم ، هي [3] :

1- إذا كان خبرًا لمبتدأ بعد (لولا) الامتناعيَّة حين يكون الامتناع معلَّقًا بها على الوجود المطلق للمبتدأ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [4] ، أي : لولا دفع الله موجود .

2- إذا كان المبتدأ نصًّا في اليمين ، مثل قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [5] ، أي : لَعمرك قسمي .

3- بعد واو المصاحبة ، مثل : كلُّ رجلٍ وضيعته ، أي : مقرونان .

4- إذا كان المبتدأ مصدرًا ، وبعده حال سدَّت مسدَّ الخبر ، وهي لا تصلح لأن تكون خبرًا ، مثل : ضربي العبد مسيئًا ، ومثل ذلك نحو : أتمُّ تبييني الحقَّ منوطًا بالحكم ، وأخطب ما يكون الأمير قائمًا .

وفي غير المواضع المذكورة يجوز حذف الخبر إذا وُجِدت قرينة لفظيَّة أو حاليَّة تُغني عن ذكره ؛ لأنَّ الألفاظ إنَّما جيءَ بها للدلالة على المعاني ، فإذا فُهِم المعنى من غير ذكر اللفظ جاز أن لا يُذكَر مع كونه مرادًا في الحكم والتقدير [6] .

ومن شواهد حذف الخبر جوازًا للعلم به قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا ﴾[7]، أي : وظلُّها دائم ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ﴾ [8] ، أي : حِلٌّ لكم .

---

(1) ابن يعيش1/94. (2) المطوّل/301. (3) انظر: شرح ابن عقيل 248/1، وشرح الأشموني 205/1.
(4) سورة البقرة ، الآية 251 . (5) سورة الحجر، الآية 72 . (6) انظر: ابن يعيش 94/1.
(7) سورة الرعد ، الآية 35 . (8) سورة المائدة ، الآية 5 .

ومن شواهده في الشعر قول ذي الرُّمَّة :

فيا ظبية الوعساء بين جلاجلٍ وبين النقا آأنتِ أم أُمُّ سالمِ ؟ [1]

فالتقدير : أأنتِ أم أمُّ سالم أحسن ؟ [2] .

وقد استعمل الصيرفيُّ حذف الخبر في المواضع الآتية :

• في قوله يخاطب أغاني الربيع :

كلُّ هذا ... والناسُ بين مراحٍ مستمدٌّ حياتَه مِن مراحِكْ [3]

والمعنى : كلُّ هذا حادث ، والمشار إليه ما ذكره في الأبيات السابقة من استمتاع الناس بالربيع ، فهم (يشربون السرور .. ويهصرون الغصون .. ويقطفون الأزهار) ، في حين شاعرنا بعيد عن ذلك كلِّه ، فهو العاني الَّذي لا يتغيَّر حاله الحزين بتغيُّر الأوقات (تطلع الشمسُ في الصباح على العاني وتمضي أمامَهُ كرواحِكْ) ، وقد سهُل حذف الخبر في البيت لأنه في معنى الكون العامّ ، وحقُّ التنغيم في (كلُّ هذا) ينبئ عن الخبر المحذوف ، ووضع النقط مكانه تذكيرٌ بهذا الحقِّ لمن يقرأ البيت ، وقد أفاد حذفه الاختصار ، وله فائدة أخرى هي ما يعبِّر عنها البلاغيُّون بأنَّها تكثير الفائدة بالمذكور ، من حمله على المحذوف تارةً وحمله على غيره تارةً أخرى [4] ، وذلك يوصل إلى إفادة الحدوث في زمانَي الماضي والحاضر - بتقدير الخبر : حدث ويحدث - ؛ لزيادة إيضاح التبايُن بين حاله وأحوال الناس ، ولو لم يحذف الخبر لاختصَّ بزمن واحد مذكور ، وهذا ما لا يفي بغرض الشاعر .

• وفي قوله :

البحرُ هناك ، وموجُ البحرِ ... وسحرُ الشاطئِ قد أغراكْ [5]

والمعنى : وموج البحر هناك ، وقد حذف الخبر لدلالة الخبر في الجملة السابقة عليه ، فهو كبيت الفرزدق :

وليس قولُك : مَن هذا ؟ بضائرِهِ العُرْبُ تعرفُ مَنْ أنكرتَ والعجَمُ

أي : والعجم تعرفه ، وحذف الخبر في بيت الصيرفي أوفَق من ذكره ؛ للعلم به ، ولأنَّ ذكره لا يزيد في الدلالة ، فما دام البحر في مكان فموجه معه بالضرورة ، فالإخبار عنه بأنَّه (هناك) يصبح من قبيل الإطناب غير المفيد .

---

(1) ديوان ذي الرمَّة /767، وانظر: الكتاب 551/3 ، الخصائص 458/2 . (2) أمالي ابن الشجري 63/2 .
(3) الألحان الضائعة /18 . (4) انظر : مفتاح العلوم /99 . (5) النبع /53 .

• وفي قوله في (ابتسامة) :

كأنَّها ... كأنَّها ... كلُّ تخيُّلاتنا الفساحْ [1]

والمعنى : كلُّ تخيُّلاتنا الفساح - على اتِّساعها - ممكنة وجائزة ، والبيت ختام قصيدة شبَّه فيها الابتسامة عدَّة تشبيهات ، ويتآزر حذف الخبر في البيت مع حذف خبر (كأنَّ) لإفادة العموم وإتاحة الفرصة للمتلقِّي ليشارك الشاعرَ إبداعَه بتخيُّل تشبيهات مناسبة للابتسامة الرائعة ، ويزيد التنغيم في البيت من قوَّة الدلالة على المراد المحذوف .

• وفي قوله :

أأنتَ ... ؟! لا ... أنتَ غيرُهُ فأينَ لي شدوُك الجميلْ ؟ [2]

فالمعنى : أأنت هو ذلك الصادح ...؟ ، والبيت من قصيدة في فنَّان مسجًّى على فراش الموت ، وقد دلَّ على المحذوف قوله قبل البيت :

أأنتَ يا صامتًا تؤوبْ أيَّامُه للمدى البعيدْ

الصادحُ المرقصُ القلوبْ الساحرُ الفاتنُ النشيدْ ؟

وقد أضاف حذف الخبر في البيت تصويرًا للدهشة التي عقدَتْ لسانَ الشاعر - لتعجُّبه من البون الشاسع بين حال الفنَّان الأُولى وما آلت إليه وهو على فراش الموت - فلَم يستطعْ أن يكمل سؤاله (أأنت ... ؟) ، وباقي البيت مكمِّل للصورة التي رسمها حذف الخبر ، حيث أنكره (لا ... أنت غيره) ؛ لضياع علامته المميِّزة له (شدوه الجميل) ، والتنغيم في البيت يضيف قوَّةً للصورة ، فهو مُراعى من الشاعر في صناعة البيت وكتابته ، فيُراعى أيضًا حين إنشاده بتنغيم الصوت في (أأنت ... ؟) ليحمل دلالة الدهشة والتعجُّب .

---

(1) النبع /70 .

(2) الشروق /77 .

حذف الخبر في باب (كان)

يذكر النحاة أنَّ حذف الخبر في باب (كان) لا يجوز إلاَّ في ضرورة [1] ؛ " لأنه عوض عمَّا اختُرم منها من الدلالة على الحدث "[2] ، ويجيزه بعضهم اختيارًا لقرينة [3].

وبعض النحاة يخصُّ (ليس) بجواز الاقتصار على اسمها دون قرينة [4] ؛ تشبيهًا لها بـ(لا) ، وقد حكى سيبويه قول العرب : " ليس أحدٌ " ، أي : ليس هنا أحد ، وذكر أنَّ غرض الحذف التخفيف ، والاستغناء بعلم المخاطَب بما يعني [5] .

ولكنَّ الحذف كما سُمع في خبر (ليس) قد " سُمع في غيرها " [6] ، فكما ورد قول عبد الرحمن بن حسَّان :

ألا يا ليل ويحكِ نبِّئينا فأما الجودُ منك فليسَ جودُ [7]

أي : فليس منك جود ، أو : فليس عندك جود ، ورد أيضًا قول الشاعر :

فإن قصدوا لمُرِّ الحقِّ فاقصد وإن جاروا فجُرْ حتَّى يصيروا [8]

أي : حتَّى يصيروا تبعًا لك .

وسواء جاز حذف الخبر اختيارًا لقرينة أو اختصَّ بالضرورة ، وسواء اختصَّ الحذف بخبر (ليس) أو جاز في خبر غيرها، فلا بدَّ من وجود القرينة الَّتي تدلُّ على المحذوف.

وقد استعمل الصيرفيُّ حذف خبر (كان) وأخواتها في مواضع متعدِّدة ؛ اعتمادًا على كونها مفهومة من السياق لدى المتلقِّي ، أو لخلق مجال احتماليٍّ يتوسَّع بالمعنى ولا يحصره في دائرة ضيِّقة ، وهذه هي المواضع :

- قوله :

أو كنتُ ... أو كنتُ ... ممَّا كلُّه متعٌ ما كنتُ أسْعِدُ إلاَّ مَن يناجيني [9]

ولا يمكن فهم البيت بمعزل عن سياقه ، فهو من قصيدة (الرغبات المقيَّدة) الَّتي يقول في مطلعها :

لو كنتُ نسمة فجرٍ في الربيع لما مررتُ بالروض إلاَّ وهو يدعوني

---

(1) انظر : ارتشاف الضرب 1184/3 . (2) ضرائر الشعر /182 . (3) همع الهوامع 116/1 .
(4) انظر : شرح التسهيل 358/1 ، ومعاني القرآن للفرَّاء 83/2 . (5) الكتاب 346/2 .
(6) ارتشاف الضرب1184/3. (7) شعر عبد الرحمن بن حسَّان/21، وانظر: شرح التسهيل359/1.
(8) لعمرو بن الأهتم في المفضليات / 410 . (9) الألحان الضائعة/81 .

والقصيدة مبنيَّة على مثل هذا الأسلوب ، وهي معبِّرة عن عزَّة نفسه وإبائه ، فأتى فيها بعدَّة افتراضات (لو كنت نسمة فجر ، زورق نهر ، نجمة ليل ، أثمار روض) ، ثمَّ أراد أن يفيد العموم بأوجز عبارة، ويفتح الباب لعقل المتلقِّي ليتخيَّل ما شاء (ممَّا كلُّه مُتَعَ)، فتوصَّل لغرضه بحذف خبر (كان) .

• وقوله :

وتَفرَّق الأحبابُ عن أحبابهم فإذا الَّذي كانوا رؤى وسنانِ [1]

والمراد: الَّذي كانوا فيه ، فالمحذوف خبر (كان) شبه جملة ، وقد أفاد حذفه العموم، ليقدِّر المتلقِّي ما شاء ، من اجتماع الشمل ، والسعادة ، وغير ذلك .

• وقوله :

الركب أسرع في المسير، ولم يزَلْ هذا الحزينُ الآسفُ اللهفانُ [2]

والحديث في البيت عن نفسه ، وهو يعبِّر فيه عن حزنه لفقده أصدقاءَه واحدًا بعد آخر ، والمعنى المراد : ولم يزل هذا الحزين لفراق أحبابه حيًّا لم يحِن وقت لحاقه بهم ، وحذف خبر (لم يزل) هنا معتمد على المفهوم من السياق، حيث لا يخفى تقديره ، لكنّ الحذف يتميَّز عن الذكر بالإيجاز ، وإتاحة الفرصة للمتلقِّي ليُعمِل فكره ويستدل على المحذوف .

• وقوله :

ذاك ذنب العصر الَّذي عايشوهُ حيثُ ما زال طائفٌ من رؤاهُ [3]

والمعنى : ما زال طائفٌ من رؤاه كائنًا ، موجودًا ، باقيًا في عصرنا ، والقصيدة في رثاء صديقه الشاعر محمود غنيم ، والحديث في البيت عن أصحاب الشعر القديم – والذي كان غنيم يميل بأسلوبه إليه – الَّذين عاب بعض النقَّاد كثرة المديح في شعرهم :

عيبهم – في اعتقادهم – أن تمادوا في مديحٍ فأُغرِقوا في دجاهُ

وقد بيَّن الصيرفي بقاء بعض من سمات ذلك العصر في المرثيِّ ممثلاً في استعماله للمديح ، لكنَّه المديح عن صدق ، الصادر من أسير المعروف ، فلا نفاق ولا رياء :

ما على صاحبي جناحٌ إذا ما هاج وجدانه كريمٌ رعاهُ
لا نفاقًا .. ولا رياءً .. ولكن صدقُ إحساسه الَّذي أوحاهُ

وحذف خبر (ما زال) في البيت معتمد على الفهم من سياق الكلام ، فلا خفاء في الاستدلال على المحذوف ، لأنَّه في معنى الكون العام .

(1) صدى ونور ودموع /73 . (2) السابق /312 . (3) زاد المسافر /50 .

حذف خبر (لا) المشبَّهة بليس

يُراد بكون (لا) مشبَّهة بـ(ليس) أنَّها تعمل عملها ، فيأتي اسمها مرفوعًا وخبرها منصوبًا ، وللنحاة في عملها هذا العمل آراء :

الأوَّل : أنَّه خاصٌّ بلغة الحجاز دون تميم [1] .

الثاني : أنَّه قليل [2] ، يقول سيبويه : " وقد جُعِلتْ – وليس ذلك بالأكثر – بمنزلة ليس " [3]، ويقول المبرِّد : " وقد تُجعَل (لا) بمنزلة (ليس)؛ لاجتماعهما في المعنى " [4] .

الثالث : أنَّه " شاذٌ ، يجيء في الشعر فقط " [5] .

الرابع : أنَّ (لا) لا تعمل عمل (ليس) ، لا شاذًا ولا قياسًا [6] .

والأوجه القول بأنَّه قليل، ولقلَّته كانت (لا) "لا تُمكَّن في الكلام كتمكُّن (ليس)"[7].

ويجوز في خبر (لا) – وهو ما يعنينا هنا – الذكر والحذف ، ولكن يغلب أن يكون محذوفًا [8] .

ومن شواهد حذفه في القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ ﴾ [9] .

ومن شواهد حذفه في الشعر قول سعد بن مالك :

مَن صدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ [10]

أي : لا براحَ لي .

وقد سار الصيرفيّ على الجائز الغالب في خبر (لا) العاملة عمل (ليس) ، فآثر الحذف ؛ إيجازًا لائقًا بالشعر ، وخدمةً للدلالة ، في مثل قوله :

سيغني الشعر لو أنَّا عمينا عنه في الكون
فلا حسنٌ ولا متعٌ ولا سحرٌ لمُفْتنّ [11]

---

(1) انظر : شرح الأشموني 264/1 .
(2) انظر : ابن يعيش 108/1 .
(3) الكتاب 296/2 .
(4) المقتضب 382/4 .
(5) الكافية 112/1 ، وانظر : خزانة الأدب 467/1 .
(6) شرح الكافية للرضي 266/1 .
(7) الكتاب 58/1 .
(8) مغني اللبيب /826 ، وانظر : شرح الأشموني 266/1 .
(9) سورة البقرة ، الآية 254 .
(10) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي/506.
(11) الشروق /5 ، وقد وقع بقوله (الكون) في سناد الردف .

والمحذوف في قوله (فلا حسنٌ ولا متعٌ) ، وهو أشبه بالكون العامّ ، والغرض النفي القاطع لوجود الحسن والمتع في الكون على اتساعه ، وقد يكون من حذف المتقدم لدلالة المتأخر عليه .

• وفي قوله يرثي عزيز فهمي :

والنائبُ الحرُّ العقيدةِ هاتفًا بالحقّ ، لا ضعفٌ ولا استخذاءُ (1)

فالمراد : لا ضعف فيه ، ولا استخذاء عنده ، وكأنه فضّل الحذف تنزيهًا للمرثيّ عن الإتيان بما يوحي بإثبات الضعف والاستخذاء له ، ومثله قوله يخاطبه :

تسعى إلى الخير العميم مطأطئًا هامًا ، فلا زهوٌ ولا استعلاءُ (2)

أي : فلا زهو فيك ، ولا استعلاء لك .

• وفي قوله يرثي قطّته :

كم أناسٍ خبرتُهُمْ لا خلاقٌ ولا رجاءْ (3)

والتقدير : لا خلاق لهم ، ولا رجاء فيهم ، وفي حذف الخبر المحتوي على الضمير العائد عليهم إيحاء باحتقار مَن كانت هذه صفته من الناس ، لا سيّما والمقام مقام تعداد لمحاسن قطّة عجماء .

• وفي قوله يرثي أباه :

طالت بخطوك الطريق يا أبي طالت هنا بخطوك الطريقْ
لا واحةٌ ، لا راحةٌ ، ولا مدى ولا صُوى تُهدهِدُ البريقْ (4)

والغرض الدلالة على انتفاء كلٍّ من : الواحة ، والراحة ، والمدى ، والصوي في الطريق الذي سلكه أبوه ، وقد دلّ البيت السابق على المحذوف ، وحذفه إكمالٌ للصورة التي رسمها في البيت الأوّل ، حيث طال الطريق فاختفت معالمه وانتفت فيه أسباب الراحة .

• وفي قوله مطلع قصيدة رثى بها إبراهيم ناجي :

ليَهْنِك الصمتُ ، لا خوفٌ ولا ألمُ ولا كفاحٌ ، ولا جهدٌ ، ولا سقَمُ (5)

فهو في البيت يهنئه على حياته الجديدة التي تحلو من منغصات الحياة وأكدارها ، فينتفي فيها الخوف والألم والكفاح والجهد والسقم بشكلٍ قاطع ، ولذلك لم يحتج أن يقول : لا خوف عليك ، ولا ألم لك ... ، فقد أقدره الحذف على نفي أشياء كثيرة والإتيان بستة معانٍ في بيتٍ واحد (6) .

---

(1) صدى ونور ودموع /283 . (2) السابق /284 . (3) صلواتي أنا /81 .
(4) صلواتي أنا /61 . (5) صدى ونور ودموع /293 .
(6) مواضع أخرى لحذف خبر (لا) المشبّهة بليس في : زاد المسافر /42 ، شهرزاد /75 ، صدى ونور ودموع /29 ، عودة الوحي /96 .

حذف خبر (لا) النافية للجنس

تفيد (لا) النافية للجنس النصَّ على نفي الخبر الواقع بعدها عن جميع أفراد الجنس [1] ، وتعمل عمل (إنَّ) فتنصب المبتدأ وترفع الخبر .

وحذف خبرها جائز ، يقول سيبويه : " كإضمارك إذا قلت : لا رجلَ ، ولا بأسَ ، وإن أظهرت فحسن " [2] ، وشرط جواز الحذف ظهور المراد لوجود القرينة ، فإذا وُجدت القرينة فالحذف يتردَّد بين الجواز واللزوم على أساس اختلاف لهجيٍّ بين أهل الحجاز حيث يُحذف عندهم بكثرة ، وقبيلتي تميم وطيِّء حيث يلزم الحذف ويجب [3]، أمَّا إذا انعدمت القرينة وخفي المراد فلا يجوز حذف الخبر ، بل يجب إثباته عند الجميع لعدم الدليل ، وكذلك إذا كان الخبر خاصًّا وجب إثباته ؛ " لأنَّ عموم النفي لا يدلُّ على الخبر الخاص " [4] .

ولحذف خبر (لا) النافية للجنس شواهد من القرآن الكريم ، ومن الشعر ، ومن كلام العرب ، فمن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [5] ، وكذلك في قراءة ابن كثير وأبي عمرو [6] قوله تعالى : ﴿ لا بَيْعَ فِيهِ وَلاَ خُلَّةَ وَلاَ شَفَاعَةَ ﴾ [7] بالنصب .

ومن شواهده في الشعر قول ابن ميَّادة :

ألا ليت شعري هل إلى أمِّ معمرٍ سبيلٌ فأمَّا الصبرُ عنها فلا صبرا [8]

والأصل : فلا صبرَ لي .

ومن كلام العرب أنهم يقولون : لا بأس ، يريدون : لا بأس عليك [9] ، فيحذفون خبر (لا) .

---

(1) انظر : حاشية الصبَّان 3/2 .
(2) الكتاب 279/2 .
(3) انظر : شرح الرضي للكافية 259/1 ، شرح الأشموني 346/1 .
(4) ابن يعيش 107/1 .
(5) سورة البقرة ، الآية 197 .
(6) الكشف 305/1 .
(7) سورة البقرة ، الآية 254 .
(8) شعر ابن ميادة /134 .
(9) انظر : أمالي ابن الشجري 65/2 .

وقد استعمل الصيرفي حذف خبر (لا) النافية للجنس في مواضع من شعره ، فمنها قوله :

فلا نجوى ولا شكوى ولا حيرانَ لم ينمِ [1]

ودلالة الحذف في البيت تتضح إذا نظرنا إلى البيت السابق له وهو قوله :

سيفنى الشّعر لوْ أنّا نسينا ثورة الألمِ

فقد حذف خبر (لا) فاختصر الكلام وأكسب النفي قوّة انعكست على معنى البيت فبرز المراد واضحًا جليًّا وهو انتفاء النجوى والشكوى لانتفاء الشعر .

• وقوله :

قُلها وحسْبي أن تقولَ ولا ملامَ ولا عتابْ [2]

حيث حذف خبر (لا) في قوله (لا ملام ولا عتاب) ، وقد أفاد حذف خبرها - فوق الإيجاز - العجلة والتلهُّف ؛ لأنّه يستعجل جواب السؤال في قوله :

أتلاقيان على الطريقِ أم افتراقٌ في الشعابْ ؟ [3]

فليس المقام مقام تؤدة وإطناب ، ولو قال : لا ملام عليك ، ولا عتاب لك لكان مخالفًا للمعنى الّذي اقتضاه المقام .

• وفي قوله :

سحرُ عينيكِ هو الغالبُ لا غالب غيرَهْ [4]

فالمراد : لا غالب غيرَه كائنٌ أو موجودٌ ، وظنّي أنّه أراد أن يقول : لا غالبَ غيرُه ، لكنّه لم يرد أن يقع في الإصراف – بأن يأتي بقافية البيت مضمومة وهي في سائر القصيدة مفتوحة – فساعده نظام اللغة على أن يجعل (غيره) صفة [5] ويحذف الخبر ، وهذا حسن تصرُّف منه ، ودليلٌ على مرونة نظام اللغة العربيّة .

---

(1) الشروق /5 .
(2) النبع /15 .
(3) السابق /14 .
(4) صدى ونور ودموع /84 .
(5) هذا ما بدا لي ، ويجوز أن تكون (غير) مبنيّة على الفتح لكونها مضافة إلى مبنيّ، يراجع : أحكام (غير) وأوجه استعمالها في اللغة العربيّة /49 وما بعدها .

حذف المفعول به

حذف المفعول به كثير [1]، وهو على ضربين [2] : حذف اختصار ، وحذف اقتصار.

فالأوَّل : هو أن يحذف المفعول به من اللفظ مع كونه مرادًا معنًى وتقديرًا لدلالة الحال عليه [3] ، والغرض العامُّ من هذا الضرب — كما تبين تسميته — الاختصار والتخفيف [4] .

ومن شواهده قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ [5] ، فالمعنى : وما هداهم ، فحذف المفعول لدلالة الحال عليه ؛ إيجازًا للعبارة ، ولنكتة لطيفة أخرى هي إخراج الكلام مخرج العموم، أي أنَّ فرعون لا يتصف بصفة الهداية البتَّة ، ولو قال: (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيَّدًا بقومه ، إذ يحتمل أن يكون هدى غيرهم ، لكنَّه قال : ﴿ وَمَا هَدَى ﴾ ، أي : ما هدى أحدًا [6] .

والضرب الثاني : أن لا يُذكر المفعول لأنَّه غير مراد ، بأن يُذكر الفعل المتعدِّي ومراد المتحدِّث أن يقتصر على إثبات معنى الفعل للفاعل من غير أن يتعرَّض لذكر المفعول ، فلا يُذكَر ولا يُنوَى ، ولا يُسمَّى محذوفًا ، وفي هذه الحال يصبح المتعدِّي كغير المتعدِّي في انعدام المفعول في اللفظ والتقدير جميعا [7] .

ولحذف المفعول أغراض كثيرة قد يجتمع بعضها في الموضع الواحد، ومن الأغراض ما هو لفظيّ ، ومنها ما هو معنويّ ، فمن الأغراض اللفظيَّة [8] :

1- الإيجاز ، كما في قوله تعالى :﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ [9] .

2- موافقة المسبوق للسابق [رعاية الفاصلة] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ [10] .

---

(1) انظر : ابن يعيش 39/2 ، والمساعد 443/1 .
(2) السابق .
(3) انظر: دلائل الإعجاز /155، المساعد 443/1، معاني النحو 93/2.
(4) انظر : ابن يعيش 39/2 .
(5) سورة طه ، الآية 79 .
(6) معاني النحو 39/2 .
(7) انظر : دلائل الإعجاز /154 ، ومغني اللبيب /797 وما بعدها .
(8) المساعد 444/1 .
(9) سورة التغابن ، الآية 16 .
(10) سورة النجم، الآيتان 42، 43.

3- إصلاح الوزن ، كما في قول الشاعر :

وخالدٌ يحمدُ ساداتُنا بالحقِّ لا يُحمَدُ بالباطلِ [1]

أي : يحمدُه ساداتُنا .

ومن الأغراض المعنويَّة [2] :

1- العلم بالمفعول المحذوف ،كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [3].

2- الجهل به ، مثل : ولدتْ فلانة ، والمتحدث لا يعلم أذكرًا ولدت أم أنثى .

3- كون التعيين غير مقصود، أي التعميم مع الاختصار، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴾ [4] .

4- تعظيم الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ ... لأُغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [5] .

5- الخوف من المفعول : كما يقول القائل : أبغضتُ في الله ، ولا يذكر مَن أبغضه خوفًا منه .

6- الخوف عليه : كما نقول : هوي فلانٌ ، ولا نذكر من هويه خوفًا عليه .

7- دفع توهُّم إرادة غير المراد ، كما في قول البحتريّ :

وكم ذُدتَ عنِّي من تحمُّلِ حادثٍ وسَوْرةِ أيَّامٍ حززْنَ إلى العظمِ [6]

" فإنَّه لم يُفهم أنَّ المحزوز اللحم حتَّى عُلم أن الحزَّ وصل إلى العظم ، فلو قال : حززن اللحم لربَّما توهم السامع أوَّلاً أنَّ المقصود الإخبار بحزِّ اللحم من غير نظر إلى انتهائه إلى العظم " [7] .

وقد أبانت الشواهد والأمثلة السابقة عن كثيرٍ من الأغراض المعنويَّة لحذف المفعول، فالمفعول فيها " غير مراد ، ولا يصحُّ تقديره ولو كان الفعل متعدِّيًا في الأصل ؛ لأنَّ تقدير أيِّ مفعول مفسد للمعنى " [8] المراد من المتكلِّم ، ومن أصول كلام العرب أنَّ اللفظ تابع للمعنى وخادم له [9] ، فيمتنع ذكر المفعول ويلزم حذفه .

---

(1) للأسود بن يعفُر في المقرَّب 84/1 .

(2) انظر : المساعد 445/1 ، عروس الأفراح 471/1 ، معاني النحو 94/2 .

(3) سورة البقرة ، الآية 24 . (4) سورة الفرقان ، الآية 19 . (5) سورة المجادلة ، الآية 21 .

(6) ديوان البحتريّ 394/2 . (7) عروس الأفراح 471/1 . (8) معاني النحو 96/2 .

(9) انظر : الخصائص 215/1 وما بعدها .

نأتي إلى ذكر ما وقع من حذف المفعول في شعر الصيرفي ، وهذا بيانه :

• في قوله :

والبائسُ الحيرانُ تشهدُ عينهُ حسنَ الوجودِ كأنّها لم تشهدِ (1)

الحذف هنا للاختصار ، وتتعدّد دلالته ، فقد حافظ على حرف الرويّ ، وأخرج الكلام مخرج العموم ، فكأنّه قال : كأنّها لم تشهد شيئًا قطّ ، فالحذف زاد في المعنى ما لا يدرك بكثرة الكلام ، وذلك من محاسن الحذف الّتي لا تُنكَر ، ودليل الحذف في البيت استلزام مفعول الفعل السابق ، وهو (حسن الوجود) ، فصار المعنى : كأنّها لم تشهد شيئًا من ذلك الحسن ، ثم إن الوقوف على (تشهد) مطلوب للقافية .

• وفي قوله :

ولا تذكُريني إذا ما شعرتِ بأنّ التذكُّر داءٌ سيُضنني (2)

وحذف المفعول هنا أيضًا للاختصار ، والتقدير : سيضنيكِ ، وتتعدّد دلالة الحذف هنا، فمنها الحفاظ على حرف الرويّ ، ومنها الحرص على المفعول المحذوف ؛ فإنّه لم يرد أن يوقع الضنى عليها ولو على الضمير العائد عليها ، وهذا حال المحبّ الصادق ولو كان مفارقًا ، كذلك الوقوف على (سيضني) لازم من أجل القافية .

• وفي قوله :

قُلْها وحسْبي أنْ تقولَ ولا ملامَ ولا عِتابْ (3)

الحذف في قوله : (تقول) للاقتصار ، فالغرض مجرّد إثبات الفعل للفاعل ، وهذا يستلزمه المقام لضيقه مع استعجال الشاعر وخوفه فوات الفرصة ، فهو في البيت كأنّه يترجّى المخاطب ـ وهو محبوبه الّذي يرفل في ثوب الشباب ، في حين بلغ شاعرنا المشيب ـ ويستجديه الكلام ليقول كلمته بالموافقة أو الرفض إجابةً لسؤاله :

أتلاقيان على الطريقِ أم افتراقٌ في الشعابْ ؟ (4)

فهو إذن لا يريد كلامًا بعينه وإنّما يطلب مجرّد حصول القول ، فهو راضٍ بالجواب أيًّا كان ، وأيُّ تقدير لهذا القول يفسد معنى البيت ويذهب برونقه الذي أدّاه إليه حذف المفعول .

---

(1) الشروق /20 .
(2) الألحان الضائعة /28 .
(3) النبع /15 .
(4) السابق /14 .

• وفي قوله :

عاشهُ الشعبُ على مرّ الأسى غصّةً يُسقى ونارًا يكتويها [1]

والأصل : يُسقاها ، فحذف ما لا يخفى تقديره ؛ للاختصار ، ولضيق المقام ، حيث ضاق به البيت عن أن يقول (يسقاها) .

• وفي قوله :

سيقول الناس : ماتت شهرزادْ !
لم تمُتْ ، وهْيَ لها ألفُ مَعادْ
هي حُلْمُ طوّف الدُّنيا ورادْ
وهْيَ أنشودةُ سحرٍ تُستعادْ [2]

وحذف المفعول في قوله : (هي حُلمُ طوّف الدُّنيا ورادْ) من باب إعمال الفعلين في مفعول ؛ إذ المعنى (طوّف الدنيا ورادها) ، " وحذف المفعول كثير في باب إعمال الفعلين " [3] ، ودلّ على مفعول الفعل الثاني مفعول الفعل الأول ، كما في قول الله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[4]، فالتقدير : والحافظات فروجهن ، والذاكرات الله كثيرا .

ودلالة حذف المفعول في بيت الصيرفيّ متعدِّدة ، فمنها : الاختصار ، ومنها : الحفاظ على حرف الرويّ ، وإخراج الكلام مخرج العموم ، فكأنّه قال : راد جميع آفاق الدنيا [5] .

---

(1) صدى ونور ودموع /196 .
(2) شهرزاد /83 .
(3) أمالي ابن الشجري 66/2 .
(4) سورة الأحزاب ، الآية 35 .
(5) انظر مواضع أخرى لحذف المفعول : صدى ونور ودموع /147 ، صلواتي أنا /84 .

حذف الموصوف

الأصل أن يُذكر الموصوف مع الصفة ؛ لأنهما " كالشيء الواحد ، من حيث كان البيان والإيضاح إنما يحصل من مجموعهما " [1] ، فحذف أحدهما ربما وقع به لبس أو نقص في البيان .

ولكن في بعض الأحيان يُحذف الموصوف ؛ لظهور أمره " ظهورًا يُستغنى معه عن ذكره "[2] إمّا لقوّة الدلالة عليه، أو لكون الوصف "خاصًا يخصُّ نوعًا من الأنواع" [3]، فحذفه في مثل هذه الحالات لا يُخشى منه لبس ، ولذلك جاز ، ويُعبَّر عن حذفه بـ(إقامة الصفة مقام الموصوف) ؛ لأنَّ حذف الموصوف يجعل بيان المعنى منوطًا بالصفة وحدها دون موصوف .

ومن النحاة من يجعل حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه من خواصِّ لغة الشعر [4] - رغم وقوعه في غير الشعر من غير قلّة - أو يصفه بأنه " قبيح " [5] ؛ لأنَّ " القياس يكاد يحظره " [6] ، ولا شكَّ أنَّ قبح الحذف يصدق إذا أنقص من البيان أو أوقع في اللبس والإبهام ، أمّا إذا شهدت الحال به وقام الدليل عليه فلا قبح حينئذٍ ولا حظر ؛ لأنه يصبح وسيلة للاختصار والاحتراز عن العبث ، ولذلك وُصف حذف المنعوت بأنه كثير [7] ، ووُصِف بأنه " جائزٌ حسنٌ في العربيَّة يُعدُّ من جملة الفصاحة والبلاغة " [8] .

وقد ذكر الأشموني [9] أنه يجب لحذف الموصوف توفُّر أحد شرطين :

1- إمّا كون المنعوت صالحًا لمباشرة العامل، كقوله تعالى:﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾[10].

2- أو كون المنعوت بعض اسم مخفوض بـ(من) أو (في)، فمن المخفوض بـ(من) قول العرب : مِنَّا ظعن ومِنَّا أقام ، أي : منا فريقٌ ظعن ومنا فريقٌ أقام ، ومن المخفوض بـ(في) قول الراجز :

---

(1) ابن يعيش 59/3 . (2) المفصّل /151 . (3) الأصول 462/3 .

(4) السابق ، وسرّ صناعة الإعراب 284/1 ، وابن يعيش 59/3 .

(5) الأصول 462/3 ، وسرّ صناعة الإعراب 284/1 . (6) الخصائص 366/2 .

(7) شرح الأشموني 328/2 . (8) إعراب القرآن المنسوب للزجّاج 286/1 .

(9) شرح الأشموني 328/2 . (10) سورة سبأ ، الآية 11 .

لو قلتَ : ما في قومها ، لم تيثم
يَفضُلها في حسَبٍ وميسَمِ [1]

أي : ما في قومها أحد يفْضُلها .

ويبرز دور التنغيم في هذه المسألة ، إذ لا مناص من الضغط على الصفة في النطق ؛ ليكون التنغيم معبِّرًا عن الموصوف المحذوف ، ومع أنه قد توجد أدلة أخرى تُوحي بالمحذوف إلاَّ أنَّ التنغيم هو الوسيلة الأولى الَّتي يُعوَّل عليها في ذلك [2] .

ويحذف الموصوف وردت شواهد كثيرة من فصيح الكلام ، فمن ذلك في القرآن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ﴾[3]، أي : دروعًا سابغات، وقوله تعالى : ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [4] ، أي : الملَّة القيِّمة ، فالوصف في الآيتين خاصّ ، ولذلك ظهر أمره وجاز حذفه .

وإذا كان حذف الموصوف كثيرًا فلا شكَّ أنَّه في الشعر أكثر ؛ لأنَّه مظنَّة الإيجاز وتركيز الكلام ، ومن شواهده في الشعر :

قول النابغة الذبياني :

كأنَّك من جمال بني أُقيشٍ يُقعقَعُ خلف رجليهِ بشنِّ [5]

أي : كأنَّك جملٌ من جمال بني أقيش .

وقول سحيم بن وثيل الرياحي :

أنا ابنُ جلا وطلاَّع الثنايا متى أضعِ العمامةَ تعرفوني [6]

أي : أنا ابن رجل جلا ، وغيرها من الشواهد .

وقد استعمل الصيرفيُّ حذف الموصوف المفرد في مواضع كثيرة من شعره لأغراض متعدِّدة ، فمن ذلك :

---

(1) لحكيم بن معيّة في خزانة الأدب 62/5 ، 63 ، ولأبي الأسود الحماني في ابن يعيش 59/3 .
(2) انظر : من وظائف الصوت اللغويّ /66 .
(3) سورة سبأ ، الآية 11 .
(4) سورة البينة ، الآية 5 .
(5) ديوانه /137 .
(6) الأصمعيَّات /73 .

• قوله في الشاعر التونسيِّ أبي القاسم الشابي :

أرْهقَ الجسمَ ثائرٌ بيْن جنبَيْهِ لا يُراحْ [1]

فالمراد : قلبٌ ثائرٌ ، وتقدير الموصوف لا يخفى ؛ فقد قال (بين جنبيه) ، أمَّا الغرض من حذفه فلأنَّه أراد أن يركِّز البيان على صفة (الثورة) في هذا القلب ، لأنَّ القلب لا يُرهِق الجسم إلاَّ إذا كان قلبًا طموحًا ثائرًا ، كما قال المتنبِّي :

وإذا كانت النفوسُ كبارًا تعبتْ في مرادِها الأجسامُ [2]

• وقوله في رثاء أمِّه :

غارت الأنجُم إلاَّ خادعًا حيِّر العقلَ وأعشى الأعيُنا [3]

والمراد : نجمًا خادعًا ، وقد حذفه ليدفع توهُّم إرادة غير المراد ، إذ لو قال : إلاَّ نجمًا ، فربَّما توهَّم المتلقِّي أنَّ النجم بقي ليهديه ـ لأنَّ هذا هو الأصل ـ فتضيع الصورة الَّتي إليها قصد ، فبادر بقوله (خادعًا) وترك إفهام المعنى للسياق .

• وقوله في رثاء صديقه الأديب القاصّ صلاح ذهني :

حتَّى تغلَّب عاتٍ على الفتوَّة مُضنِ [4]

والمراد : مرض عاتٍ ، وقد حذف الموصوف لأنَّه لا يتعلَّق بذكره غرض ؛ إذ ليس الأصل في المرض أن يتغلَّب على الإنسان – لا سيَّما إذا كان فتيًّا – ويميتَه ، لكنَّه لمَّا كان (عاتيًا ، ومُضنيًا) كان الأَوْلى إبراز هذه الصفات دون موصوفها ، فبها تغلَّب المرضُ ، لا بكونه مرضًا .

• وقوله :

لم يلْقَ إلا خداعًا من مُبهْرَجةٍ يبدو الشبابُ رياءً في تصابيها [5]

والمراد : دنيا مُبهرَجة ، ولا خفاء في تقدير المحذوف ، وفي حذفه إيحاء بالاحتقار للموصوف (الدنيا المخادعة المتصابية) .

---

(1) الشروق /87 . (2) ديوانه /261 . (3) صدى ونور ودموع /269 .
(4) صدى ونور ودموع /301 . (5) الشروق /74 .

• وقوله في رثاء حماته :

سعتْ بكم الحدباءُ، لا الموتُ راحمٌ أسايَ، ولا رقّت لمدمعيَ الحدبا [1]

والمراد : الآلة الحدباء ، أي النعش ، والحدباء : مؤنث الأحدب ، أو الدابّة التي بدت حراقفها وعظم ظهرها [2]، لكنّه استعملها في معنى آلة حمل الموتى من غير خشية لبس؛ اعتمادًا على موروثٍ دلاليٍّ في البيت المشهور لكعب بن زهير :

كلُّ ابن أنثى – وإن طالت سلامتهُ – يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ [3]

وفي شعره مواضع أخرى لحذف الموصوف [4] ، وقد أجملتُ ببيان النماذج السابقة أغراضَ حذف الموصوف في شعره ، فباقي المواضع داخلة تحت أحدها .

---

(1) صدى ونور ودموع /275 . (2) لسان العرب (ح د ب) .

(3) انظر : شرح قصيدة كعب بن زهير /245 وما بعدها ، وتفسير الآلة الحدباء بالنعش أحد تفسيرين .

(4) انظر : عودة الوحي /20 ، صلواتي أنا /62 ، الشروق /58 ، 68 ، صدى ونور ودموع /140 ، 303 .

المبحث الرابع
حذف الأفعال

وفيه قضيّتان :

- **الأولى** : حذف الفعل .
- **الثانية** : حذف جواب الشرط .

حذف الفعل

حذف الفعل جارٍ على الحكم العام للحذف : يمتنع بلا دليل ، ويجوز لدليل ، وقد ذكر النحاة أنَّ الفعل يجوز أن يُضمر لكون ماقبله يُشعر به [1] .

ومن شواهد حذفه في الشعر قول أبي صخر الهذليّ :

أرى الأيامَ لا تُبقي كريمًا ولا العُصْمَ الأوابدَ والنعاما
ولا عِلجان ينتابان روضًا نضيرًا نبتُهُ عُمًّا تُؤاما [2]

فـ(علجان) فاعل (يبقى) مضمَرًا ؛ لإشعار (تُبقي) به [3] .

ومن شواهده قول العرب : كلَيْهما وتمرًا ، قال سيبويه : " فذا مثلٌ قد كثُر في كلامهم واستُعمِل ، وتُرك ذكرُ الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام ، كأنه قال : أعطني كليهما وتمرًا " [4] .

ويُذكر لجواز حذف الفعل مواضع ، منها : [5]

1- إذا استلزمه فعلٌ قبله ، كما في بيتي أبي صخر السابقين .

2- إذا أُجيب به نفي ، كقول الشاعر :

تجلّدتُ حتّى قيلَ : لم يعْرُ قلبَهُ مِن الوجدِ شيءٌ ، قلتُ : بل أعظمُ الوجدِ [6]

والمعنى : بل عراه أعظم الوجد .

3- إذا أُجيب به استفهام محقق ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [7] ، أي : خلقهنّ الله .

وكما في قول أبي ذؤيب الهذلي :

ألا هل أتى أمَّ الحويرث مرسَلي ؟ نعم ، خالدٌ إن لم تعقه العوائقُ [8]

أي : نعم ، أتاها خالد .

4- إذا أُجيب به استفهام مُقدَّر ، كما في قراءة ابن كثير [9] : ﴿ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللهُ ﴾ [10] ، فكأنه قيل : مَن يوحي ؟ فقيل : اللهُ .

---

(1) انظر : شرح التسهيل 119/2 ، والارتشاف 3 /1322 .
(2) ديوان الهذليين 63/2 ، والعُمّ : النخل الطوال ، والتوأم : ما وُلد مع غيره .
(3) شرح التسهيل 119/2 .
(4) الكتاب 280/1 ، 281 ، وانظر : مجمع الأمثال 128/2 ، ويُروى : كلاهما وتمرًا .
(5) شرح الأشموني 393/1 . (6) تخليص الشواهد /478 . (7) سورة لقمان ، الآية 25 .
(8) ديوان الهذليين 151/1 . (9) الدرّ المصون 538/9 . (10) سورة الشورى ، الآية 3 .

وقد يُحذف الفعل في غير ذلك من المواضع إذا دلّت عليه القرينة واقتضاه السياق ، كما في قول السيِّدة عائشة رضي الله عنها : " فما أستطيع أن أقضيه إلاّ في شعبان ؛ الشغل من رسول الله ﷺ " ، أي : يمنعني الشغل من أجل رسول الله ﷺ [1] .

وقد جاء حذف الفعل في شعر الصيرفي في عدة مواضع ، منها :

- قوله :

إلى وكرِكَ يا قلبي ففي وكرِكَ أحلامُكْ [2]

حيث حذف الفعل (اذهب) ، ودلّ على حذف الفعل ضرورة وجود متعلّق للجارّ والمجرور، وحذف الفعل في هذا الموضع جعل الجملة مختصرةً دالّةً سالمةً من الترهُّل، وجعل تركيبها يبدو جديداً غير مُستهلَك .

- ما جاء على شكل حوار بين شهريار وشهرزاد في قوله :

ما الّذي ساقكِ في هذا السعيرْ ؟
الّذي يبعثُ ظلاً في الهجيرْ
ما الّذي ساقكِ للجوّ الحقيرْ ؟
الّذي ينشر في الجوّ العبيرْ [3]

فقد حذف الفعل هنا لأنّه إجابة للاستفهام المحقّق ، والتقدير : ساقني الّذي يبعث ظلاً وساقني الّذي ينشر ... وجمال الحذف هنا لا يخفى ؛ فبواسطته اختصر ما لا يخفى تقديره ، واستطاع أن يناسب بين الشطرات فازدادت موسيقيَّة الأبيات ، ولعلّ لأسلوب الحوار دورٌ في حذف الفعل هنا؛ لأنّ الحوار يجعل بيان المعنى سجالاً بين المتحاورَين، فالجملة لا تنتهي بكلام أحدهما ولكنّها تمتدُّ وتطول بين كلامهما ، فالمحذوف في كلامه يُفهَم من كلام الآخر .

- قوله :

نفض الفجرُ عليها سحرَهُ والصبحُ بشرَهْ [4]

والحذف في هذا البيت لاستلزام الفعل ، فإنّه لما قال : نفض الفجر عليها سحره ، أشعر بالفعل المضمر الذي ارتفع (الصبحُ) فاعلاً له ونُصب (بشرَه) مفعولاً له ، فالتقدير : ونفض الصبح بشره ، وقد صان حذفُ الفعل الكلامَ من الثقل ؛ لأنّ الفعل المحذوف معلوم بدلالة القرينة والسياق .

---

(1) الأثر رواه مسلم 802/2 في كتاب الصيام ، باب قضاء رمضان في شعبان ، برقم 1146 ، وانظر : شرح التسهيل 119/2. (2) صدى ونور ودموع/28. (3) شهرزاد/59. (4) صدى ونور ودموع/52.

حذف جواب الشرط

يجب حذف جواب الشرط إذا تقدَّم عليه أو اكتنفه ما يدلُّ على الجواب [1] ، ويجوز حذفه في غير ذلك إذا دلَّت عليه القرينة [2] ، فـ " العرب تحذف جواب الشيء إذا كان معلومًا ؛ إرادةَ الإيجاز " [3] .

ويُوصَف الاستغناء عن جواب الشرط للعلم به بأنه " معروفٌ جيِّد " [4] ، وبأنه " كثير " [5] وهو أكثر من حذف فعل الشرط [6] .

وقد ورد حذف جواب الشرط للعلم به في أفصح النصوص ، فمن شواهد وروده في القرآن العظيم قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ ﴾ [7] أي : فافعل، وقوله عزَّ وجلَّ :﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾[8] أي : لكان هذا القرآن [9]، وعند ابن هشام : لَما آمنوا به [10] ، بدليل قوله عزَّ وجلَّ قبل الآية : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [11] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [12] ، أي : لارتدعتم وما ألهاكم التكاثر [13] .

ومن شواهد حذفه في الشعر قول امرئ القيس :

فلو أنَّها نفسٌ تموت جميعةً ولكنَّها نفسٌ تساقطُ أنفُسا [14]

فالجواب المحذوف : لفنيَتْ واستراحت [15] .

ومن شواهد حذفه في المأثور النثريِّ عن العرب ما ورد في المثل من قول حاتم : **لو ذات سوارٍ لطمتْني** [16] ، فالجواب المقدَّر : لانتصفت [17] .

وورد حذف جواب الشرط في ثلاثة مواضع من شعر حسن كامل الصيرفي ، وهذا بيانها :

---

(1) مغني اللبيب /849 .
(2) انظر : شرح المفصَّل ، والارتشاف 1883/4، والمساعد 169/3 .
(3) معاني الفرَّاء 63/2 .
(4) المقتضب 78/2 .
(5) شرح الكافية الشافية 1608/3.
(6) انظر : شرح الأشموني 269/3 .
(7) سورة الأنعام ، الآية 35 .
(8) سورة الرعد ، الآية 31 .
(9) ابن يعيش 7/9 .
(10) مغني اللبيب /849 .
(11) سورة الرعد ، الآية 30 .
(12) سورة التكاثر ، الآية 5 .
(13) مغني اللبيب /849 .
(14) ديوانه /87 .
(15) ابن يعيش8/9. (16) النوادر في اللغة/ 270، وانظر: جمهرة الأمثال193/2. (17) ابن يعيش9/9.

• قوله من قصيدة مهداة إلى صديقه الشاعر أحمد زكي أبي شادي :

وهو ذو عزّة نفسٍ لم تهنْ عنده يومًا ، وإن جلّ الثمن [1]

وقد يبدو أنّ (لم تهن) دليل الجواب ، فيكون الجواب محذوفًا وجوبًا ، ويكون التقدير (وإن جلّ الثمن فعزّة نفسه لم تهن) ، لكنّ الأَوْلى بالمعنى أن يكون الجواب محذوفًا بلا دليل ، وتقديره : (وإن جلّ الثمن فعزّة نفسه أجلُّ عنده وأعزّ) ، وبهذا فتح حذف جواب الشرط مجالاً لغنى المعنى مع قلّة اللفظ .

• وقوله :

غفرًا لهم – يا ربّ – لو أيقظوا ضميرَهم أو عالجوا الوقْرا [2]

والبيت من قصيدة في رثاء الدكتور محمّد صبري السوربوني ، وقبله :

قد أنكر الغافون أسطورةً تعيش في دنياهمُ حَيْرَى
كم تقتل الغيْرةُ أعلامَنا وكم تهدُّ الأنفسُ الغيْرَى !

فيكون تقدير الكلام : لو أيقظوا ضمائرهم من غفوتها أو عالجوا الوقر في آذانهم لعرفوا قيمة هذا الرجل الأسطورة ، وقد أضاف حذف الجواب إلى البيت شعورًا بالحسرة لضياع قيمة هذا الرجل بين من أعمتهم الغيرة وأرادوا تحطيمه ، سوى إيصاله إلى اختصار اللفظ مع كثرة الفائدة .

• وقوله :

لو صحّت الأحلامْ
وعادت الأيّامْ
تصفو كما كانتْ [3]

والقصيدة – كما قال في تقديمه لها - حنين إلى رفاقه الّذين فرّقتْهم شعب الليل ، والأيّام الّتي طوت الذكريات العزيزة ، وقد أفاد حذف جواب الشرط التعميم مع الاختصار ، فيمكن كون (لو) للتمنّي فتستغني عن تقدير جواب للشرط [4] ، ويمكن كونها للشرط ويُقدَّر الجواب المحذوف بأيّ فعل يتضمّن معنى السعادة والهناء .

---

(1) الشروق /27 (2) عودة الوحي /34 . (3) صدى ونور ودموع /76 .

(4) يرى بعض النحاة أنّ (لو) الّتي للتمنّي لا تحتاج إلى جواب ، يُراجَع : الجنى الداني /288 ، مصابيح المغاني /417 .

خلاصة

بدأتُ هذا الفصل ببيان حقيقة الحذف ، وقدَّمتُ تعريفًا جديدًا للحذف بنوعيه (الواجب والجائز) ، ثمَّ تحدَّثتُ عن قيمة الحذف ومزاياه ، وبيَّنتُ الأغراض النحويَّة العامَّة للحذف ، والشروط الَّتي اشترطها النحاة لصحَّة الحذف ، وختمت التوطئة ببيان صور الحذف وأنواعه .

كانت دراستي للحذف في شعر الصيرفيّ في أربعة مباحث : حذف الحركات ، وحذف الحروف ، وحذف الأسماء ، وحذف الأفعال .

فدرست تحت مبحث حذف الحركات قضيَّتين :

الأولى : **اطِّراح العلامة الإعرابيَّة في المعتلِّ المنصوب** ، حيث بيَّنت موقع هذا الاطِّراح من النظام النحويّ ، وروده في المأثور اللغويّ ولا سيَّما الشِّعر حيث ورد بكثرة، وقد فصَّلتُ القول في آراء العلماء في هذا الاستعمال ، حيث جعله بعضهم من الشاذّ ، ووسمه بعضهم بالضرورة ، وقال البعض بكثرته في الضرورة والسعة ، ورُويَ عن بعضهم أنَّه لغة ، وقد ارتبط هذا الاستعمال بالشِّعر لما يحقِّقه من الخفَّة وسهولة النطق ، وكان واقعًا في شعر الصيرفيّ في أحد عشر موضعًا .

الثانية : **الوقف على المنصوب المنوَّن بالسكون** ، حيث ذكرت أنَّ الحديث عن الوقف في الشعر حديثٌ عن القافية ، وذلك يعني أنَّه يتعلَّق بالإيقاع الَّذي يمثِّل مطلبًا أساسيًّا يمكن الترخُّص في قوانين اللغة بمستوياتها من أجله ، وبيَّنتُ أنَّ الوقف بالسكون في حالة المنصوب المنوَّن عدولٌ عن الأصل الاستعماليّ لغالب العرب لكنَّه نزوعٌ إلى الأصل الحقيقيّ في الوقف وإلى لهجة ربيعة الَّتي تميل إلى التخفيف ، والغاية الَّتي يحقِّقها غايةٌ موسيقيَّةٌ وهي الحفاظ على القوافي حتَّى لا تتحوَّل من التقييد إلى الإطلاق ، واستشهدت ببعض ما ورد من استعمال هذه الظاهرة ثمَّ بيَّنت مواضع وقوعها في شعر الصيرفيّ .

ودرست تحت مبحث **حذف الحروف** أربع قضايا :

الأولى : **حذف (قد) من جملة الحال ذات الفعل الماضي** ، حيث بيَّنتُ اختلاف النحاة في اشتراط (قد) لصحَّة وقوع الماضي حالاً ، وترجيح أدلَّة السماع والقياس لقول من لم يشترطوها وهم الكوفيُّون والأخفش وابن مالك ، وقد استعمل الصيرفي هذا الحذف ورأيت أنَّه سائرٌ على الأصل متَّبعٌ لأسلوب القرآن الكريم وأسلوب الفصيح من الشعر من غير تقديرٍ ولا تأويل .

الثانية : **حذف حرف العطف** ، وفيها أوردتُ شواهد استعماليَّة لهذا الحذف من حديث النبيِّ ﷺ ومن أشعار العرب وأقوالهم ، وبيَّنت أنَّ بعض العلماء راعى هذه النصوص فأجاز حذف العاطف عند أمن اللبس ، في حين منعه بعضهم وجعله شاذاً واستدلَّ بأدلَّة لم تسلم من الطعن ، ثمَّ أوردتُ مواضع وقوع هذا الحذف في شعر الصيرفيّ ، حيث ارتبط هذا الحذف بالتنغيم ، وأوصل إلى دلالات ومعاني لا يُوصِل إليها ذكر حرف العطف .

الثالثة : **حذف (أن) المصدريَّة** ، وكان الحديث فيها عن حذف (أنْ) في غير المواضع القياسيَّة ، وهو مطَّردٌ كثيرٌ وردت به الشواهد الفصيحة ، لكن اختلف النحاة في عمل (أنْ) النصب مع حذفها ، حيث أثبته الكوفيُّون ونفاه وشذَّذه البصريُّون ، ولم أتوغَّل في هذا الخلاف ؛ لعدم وقوع (أن) محذوفة ناصبة في شعر الصيرفيّ ، وبيَّنتُ مواضع الحذف في شعره ووضَّحت أغراضه ومعانيه .

الرابعة : **حذف همزة الاستفهام** ، وقد تحدَّثتُ فيها عن ورود الحذف في الاستعمال المُستشهَد به ، وإجازة بعض العلماء له في الاختيار وكون هذا أقرب إلى روح اللغة من وصفه بالضرورة وقصره على الشِّعر ، ووضَّحتُ أنَّ حذف همزة الاستفهام إسقاطٌ للأداة الدالَّة على الأسلوب ، وينوب عنها حينئذٍ نغمة الأداء أو ما يقوم مقامها كعلامات الترقيم ، ثمَّ بيَّنتُ مواضع الحذف في شعر الصيرفي ، حيث كان منها ما قصد فيه إلى ترديد الكلام بين الإخبار والاستفهام لتجسيد التردُّد والشكّ والحيرة ، أو لاستبعاد النفي في الجواب ، ومنها ما كان الحذف فيه للاختصار ، أو لإضفاء الواقعيَّة الفنيَّة على الشِّعر بتقريب أسلوبه من أسلوب الكلام المنطوق .

ودرست تحت مبحث حذف الأسماء ثماني قضايا :
الأولى : حذف عائد الموصول ، حيث بيَّنتُ أنَّ صلة الموصول لازمةٌ لتمام معناه ، ومن شرطها أن تشتمل على الضمير المطابق للموصول الذي يربط بينه وبين الصلة ، ويُسمَّى هذا الضمير (العائد) ، وترد عليه أحوال الإعراب ، وقد اتَّفق النحاة على جواز حذفه إذا كان منصوبًا ، واشترطوا لذلك عدَّة شروط ، ووردت بالحذف شواهد فصيحة ، ثمَّ بيَّنتُ بعض مواضع حذف العائد في شعر الصيرفيّ ، حيث كان منها ما الحذف فيه للاحتقار ، أو لتحاشي الألم بسبب الذِّكر ، أو لإفساح المجال لما هو أولى بالذكر .

الثانية : حذف المبتدأ ، وفيها بيَّنتُ مواضع وجوب حذفه ومواضع كثرته ، وشواهد للحذف من النصوص الفصيحة ، وقد كان هذا الحذف كثيرًا في شعر الصيرفيّ فبيَّنتُ بعض مواضعه ، حيث كان من أغراضه تعجيل الفائدة ، والعلم بالمحذوف ، وتفخيمه ، وادِّعاء أنَّ الخبر لا يصلح إلاَّ له ، والإهانة ، وغير ذلك .

الثالثة : حذف الخبر ، وبيَّنتُ فيها أيضًا مواضع وجوب الحذف ، وجوازه في غير مواضع الوجوب ، ثمَّ وضَّحتُ أغراض هذا الحذف في شعر الصيرفي ، حيث تعدَّدت أغراضه بين الاختصار ، وتكثير الفائدة بالمذكور ، والعلم بالمحذوف ، والدلالة على العموم ، وغير ذلك ، وكانت مراعاة التنغيم والإنشاد ممَّا ينبئ عن المحذوف في أغلب هذه المواضع .

الرابعة : حذف الخبر في باب (كان) ، وفيها ذكرتُ الخلاف بين النحاة في حذف خبر (كان) ، حيث كان منهم من يخصُّه بالضرورة ، ومنهم من يجيزه في الاختيار لوجود القرينة ، وبعضهم يخصُّ (ليس) بجواز حذف خبرها ، وقد استعمل الصيرفيّ حذف الخبر في باب (كان) في مواضع كثيرة ، وكان الحذف مرتبطًا بالدلالة على العموم وسهولة فهمه من السياق .

الخامسة : حذف خبر (لا) المشبَّهة بـ(ليس) ، وقد بيَّنتُ فيها معنى كون (لا) مشبَّهة بـ(ليس) ، وآراء النحاة في عملها ، ووضَّحتُ أنَّ خبرها قد يكون مذكورًا وقد يكون محذوفًا ، لكن غلب حذفه في الاستعمال ، ثمَّ بيَّنتُ بعض مواضع حذفه في شعر الصيرفي ، حيث حذفه للإيجاز ، ولاحتقار المحذوف ، ولغير ذلك .

السادسة : حذف خبر (لا) النافية للجنس ، حيث ذكرتُ فيها جواز الحذف ، واشتراط ظهور المراد لوجود القرينة ، فإذا وُجدَت القرينة فالحذف كثيرٌ في لهجة الحجاز ، ولازمٌ في لهجتي تميم وطيء ، وإذا لم توجد القرينة فلا يجوز الحذف ، وكذلك إذا كان الخبر خاصًّا ؛ لأنَّ عموم النفي لا يدلُّ على الخبر الخاصّ ، وأوردت للحذف شواهد من القرآن الكريم ومن الشِّعر ومن كلام العرب ، ثمَّ أوردت مواضع هذا الحذف في شعر الصيرفيّ ، وقد كان من أغراضه : تقوية النفي ، والإيجاز ، والعجلة والتلهُّف ، والحفاظ على القافية .

السابعة : حذف المفعول ، حيث بيَّنت كثرته في اللغة ، وأنَّه على ضربين : حذف اختصار ، وحذف اقتصار ، وبيَّنت أنَّ لحذف المفعول أغراض كثيرة لفظيَّة ومعنويَّة ، ثمَّ أوردت بعض مواضعه في شعر الصيرفيّ ، وقد كان منها ما الحذف فيه للاختصار ، ولإخراج الكلام مخرج العموم ، وللحفاظ على حرف الرويّ ، وللحرص على المفعول المحذوف ، ولضيق المقام وخوف الفوات ، وغير ذلك .

الثامنة : حذف الموصوف ، وفيها أوضحتُ لزوم ذكر الموصوف مع الصفة ، وأنَّه يُحذف في بعض الأحيان لظهور أمره ، وبعض العلماء يجعل الحذف من خواصّ لغة الشعر ، وبعضهم يصفه بالقبح ، وكلاهما مجانبٌ للصواب ؛ لورود الحذف في الشواهد الفصيحة من غير الشِّعر ، ولأنَّ القبح ينتفي باشتراط أمن اللبس ووضوح المعنى ، ثمَّ ذكرت تصوُّرًا حديثًا لحذف الموصوف وارتباطه بالتنغيم والضغط على الصفة في النطق ، ثمَّ أوردتُ بعض مواضع حذف الموصوف في شعر الصيرفيّ ، حيث كان من أغراضه دفع توهُّم إرادة غير المراد ، واحتقار المحذوف ، وكون المحذوف لا يتعلَّق به غرض ، أو كونه معلومًا ، وغير ذلك .

ودرستُ تحت مبحث حذف الأفعال قضيَّتيْن :

الأولى : حذف الفعل ، وفيها بيَّنتُ موقع هذا الحذف من نظام اللغة ، ومواضعه مقرونةً بشواهدها ، ثمَّ بيَّنتُ مواضع حذف الفعل في شعر الصيرفي ، مقرونةً بذكر أغراضها ودلالاتها .

الثانية : **حذف جواب الشرط** ، فبيَّنت جوازه وكثرته في المأثور اللغويّ ، ثمَّ بيَّنتُ مواضعه في شعر الصيرفيّ ، حيث ورد في ثلاثة مواضع قمت ببيان دلالاتها .

ومن أهمّ نتائج البحث في هذا الفصل : أنَّ ظاهرة الحذف من الظواهر الكبرى في شعر الصيرفي ، حيث تعدَّدت صورها وأنواعها ، وكثرت أغراضها ودلالاتها ، وتدلّ كثرة الحذف في شعر الصيرفيّ على أنَّه يميل إلى الإيجاز ، ويتقن استعماله ، ولا يميل إلى الإطناب .